الليلة الأخيرة

مجزرة قصر الرحاب

مصرع العائلة الهاشمية المالكة
في بغداد يوم 14 تموز 1958



الدار العربية للموسوعات

الليلة الأخيرة
مجزرة قصر الرحاب

مصرع العائلة الهاشمية المالكة
في بغداد يوم 14 تموز سنة: 1958

تحقيق توثيقي
عن مَصرع الأسرة الهاشمية المالكة

الدار العربية للموسوعات

الطبعة الأولى

2002م ـ 1423هـ

كافة المراسلات تعنون باسم:

الدار العربية للموسوعات

ص.ب: 511 - الحازمية - هاتف: 05/952594 فاكس: 05/459982

هاتف نقال: 03/388363 - 03/525066

بيروت - لبنان

توطئة

قد يطوي التاريخ الأحداث السياسية التي تتعاقب بزخم عنيف في هذه الحقبة من حياة الشرق العربي، فلا يبقى لها ذكر، كما طوى قبلها أحداثاً كثيرة. ولكن مصرع الأسرة الهاشمية المالكة في قصر الرحاب في بغداد، لن يطوى كحدث، ولن يطمس، بل سيظل راسخاً في التاريخ، يعود إليه الناس بالذكرى والعبرة. ولقد مر أكثر من أربعين عاماً على مجزرة قصر الرحاب، ومع ذلك ما تزال قصتها مجهولة، ولم تجرِ أية محاولة لنشر الحقيقة، على أهميتها في الحقبة التي نعيش، وذيولها العاجلة والآجلة. لذلك ارتئينا فتح تحقيق في المجزرة، ضمن نطاق الرسالة المهنية، وعهد إلى لجنة من ذوي الكفاءة الصحفية بتحري التفاصيل من منابعها.

والمجزرة، لم تقع ضمن أربعة جدران، كما وقعت مجزرة «ياكاترينبورغ» سنة 1917 في روسيا، حين قتل البلاشفة الأسرة الروسية المالكة في قبو مظلم، وفي بلدة نائية معزولة، حيث يصعب استطلاع خفاياها. وإنما وقعت علناً، في حديقة قصر الرحاب أمام عشرات من الشهود. لذلك كان من السهل اقتفاء آثار بعضهم. ولكن الوصول إليهم كان مهمة شاقة، ومع ذلك استطاع الباحثون استخلاص المعلومات منهم.

المقدمة

لقد دفع سوء الأوضاع الداخلية العامة في العراق في فترة تولي الملك فيصل الثاني لمهامه الدستورية وابتعاد السياسة الخارجية للحكومات العراقية المتعاقبة عن أهداف الشعب العراقي القومية إلى زيادة النقمة على الوصي على عرش العراق (عبد الإله) ونوري السعيد المتحكمين في قرارات الدولة العراقية، سيما بعد عودة نوري السعيد إلى الوزارة في 3/آب/ 1954 وشنه الهجمات الضارية على الوطنيين وإصدار أشد الأحكام ضدهم تحت ستار مكافحة الشيوعية، مما أعطى دفعاً لتبلور فكرة تغيير النظام الحاكم سواء من جانب خلايا الضباط الأحرار التي أخذت تنتشر في صفوف الجيش العراقي، على شكل تنظيمات سرية لغرض إسقاط النظام الملكي وتحقيق المطالب الوطنية، أو الأحزاب السياسية المعارضة التي جعلت في برنامجها هدف إسقاط النظام الملكي هدفاً أساسياً تسعى إلى تحقيقه.

شكلت نتائج حرب فلسطين عام 1948 مرحلة بوادر ظهور تلك الفكرة عندما ألقى الضباط الوطنيون والقوميون في الجيش العراقي بتبعات النكسة على النظام القائم وأدركوا: بأن النصر يجب أن يمر ببغداد قبل فلسطين. ثم تركزت فكرة التغيير وتعمقت على أثر ثورة 23/ يوليو/ 1952 التي قامت في مصر، والتي تركت أثراً على الشعب العراقي

وأحزابه وتنظيماته السياسية والعسكرية فبدأ التفكير بإيجاد الوسيلة الكافية للإطاحة بالنظام الملكي في العراق مسترشدين بالتجربة المصرية، إذ أخذ الضباط الشباب بتشكيل خلايا وتنظيمات على غرار تنظيم الضباط الأحرار المصري، فبدأ الرائد **رفعت الحاج سري والمقدم المهندس رجب عبد المجيد في أيلول 1952** بمفاتحة الضباط الذين يثقان بهم ويدعوانهم للانضمام إلى الخلايا التي قررا تشكيلها لتأخذ على عاتقها عملية التغيير التي يصبو إليها الشعب عن طريق ثورة يقوم بها الجيش وذلك لعجز الأحزاب السياسية عن القيام بها.

وفي نفس العام كانت هناك محاولة ثانية في كانون الأول حيث تقرر القيام بالثورة في الاحتفال الخاص بعودة القطعات العراقية من الأردن وتبدأ بالقضاء على **(الملك ـ عبد الإله ـ نوري السعيد)** وتم إرجاء المحاولة لعدم حضور نوري السعيد والخوف من فشل الثورة وتكرار مأساة حركة مايس عام 1941 أما المحاولة الثالثة والتي تقررت أثناء قيام مناورات الجيش وتمارينه بالسلاح والذخيرة الحية في منطقة (بيخال) فقد تقرر في هذه المحاولة الاكتفاء فقط باعتقال الثلاثة الكبار. وكانت هناك محاولة أخرى في أوائل عام 1957 لكنها لم تنفذ بسبب تسرب أخبارها، إذ أمر الأمير (عبد الإله) على أثرها بإجراء تحقيق في الموضوع. وفي المحاولة الرابعة تقرر القيام بالثورة أثناء احتفالات عيد تأسيس الجيش العراقي والتي رفضت فيها **خطة عبد الكريم قاسم** التي تقضي بإطلاق النار على منصة التحية، وسبب رفض الخطة هو احتمال وفاة الملك فيصل الثاني الذي تقرر عدم قتله في مناقشات سابقة. أما خطة 11/مايس والتي كانت من أكبر الخطط والمحاولات فقد تقرر فيها إذاعة البيان الأول للثورة، بعد السيطرة العسكرية على كافة مرافق الحياة، باسم الملك فيصل الثاني وتسفير عبد الإله والتخلص من نوري السعيد، وفي خطة (29/مايس) تقرر اغتيال نوري السعيد وعبد الإله

بواسطة فدائيين أما الملك فيصل فتقرر اعتقاله فقط.

وعلى العموم نجد أن اتجاه أغلبية الضباط الأحرار لم يكن يميل إلى تصفية الملك فيصل الثاني لأنه:

1 ـ ابن الملك غازي الذي كان وطنياً.

2 ـ كونه لا يفقه من الأمور السياسية أي شيء.

3 ـ لم يكن له أي دور مظلم في تاريخ السياسة العراقية.

لم يكن النظام بعيداً تماماً عن تحركات الضباط الأحرار، كانت تصله أخبار بعضها إلا أنه لم يوليها اهتماماً كبيراً، لقد أراد أن يظهر بمظهر المسيطر على الأمور، وبأنَّ الجيش يدين بالولاء للعرش، ولكن هذه المكابرة لم تستمر، فمع مرور الوقت ازداد هاجس الشعور بالخطر.

ظل نوري السعيد يستخف بالأخبار التي كانت تصله حول تحركات الضباط. **يذكر توفيق السويدي رئيس وزراء العراق السابق في مذكراته:** أن عدنان مندرس رئيس وزراء تركيا يومها حذر نوري السعيد بحضور نجيب الراوي سفير العراق في أنقرة من انقلاب عسكري يجري إعداده في العراق. وكان جواب نوري السعيد: أن هذه المعلومات غير صحيحة وأنه لا يصدق شيئاً منها.

كذلك الشأن مع ولي العهد (عبد الإله) في إجاباته الحادة على من قاموا بتحذيره من احتمال وقوع انقلاب أو ثورة حيث كان يجيبهم: **روح التهي بشغلك.** كان للأمير (عبد الإله) شعبة استخبارات خاصة به تابعة للواء الحرس الملكي وكانت تصل إليه المعلومات المتعلقة بالضباط. بالإضافة إلى الضباط الذين كانوا يرتبطون به بشكل شخصي لرصد التحركات المعادية لنظام الحكم داخل الجيش.

كانت أهم التحذيرات تلك التي حصلت عام، 1958 وهو العام

الذي حدثت فيه ثورة 14/تموز، حيث كان ولي العهد (الأمير عبد الإله) قد سافر إلى تركيا منذ حزيران 1958 وأعلن أنه سيمضي الصيف في تركية وبعض الدول الأوروبية، وحصل خلال غيابه عن العراق أن اتصل الملك حسين بن طلال (ملك المملكة الأردنية الهاشمية) هاتفياً بالملك فيصل الثاني في تموز 1958 يخبره بمحاولة يُعدّها نفر من الضباط ضد حكمه في منتصف تموز 1958 ويطلب منه إرسال من يعتمد عليه إلى عمان لاطلاعه على المعلومات التي تخص الحركة المذكورة، فسافر رئيس أركان الجيش الفريق محمد رفيق عارف إلى عمان لمقابلة الملك حسين. وعرض الملك حسين المعلومات التي تخص الحركة وبعض أسماء القائمين بها، ولكن رئيس أركان الجيش ردّ على الملك حسين بأن يخشى على عرشه أما الملك فيصل الثاني فإن الجيش يدين بالولاء له. وعاد محمد رفيق عارف إلى بغداد يوم 11 تموز 1958 وكان واثقاً بأن الجيش العراقي في قبضته ويدين بالولاء للبلاط.

موقف الضباط الأحرار
من الملك فيصل الثاني

تباينت آراء الضباط الأحرار حول الموقف من الملك فيصل الثاني والنظام الملكي في حالة نجاح الثورة. في البداية كانت أكثرية الضباط متأثرة بالتجربة المصرية في إنهاء الملكية، أي الموافقة على سفر العائلة الملكية إلى خارج العراق، ولكن مع الوقت تغيرت مواقفهم. تنظيم رفعت الحاج سري لم يقرر إلغاء الملكية أول الأمر وإنما كان يدعو إلى إبقاء الملك وتشكيل وزارة برئاسة نجيب الربيعي، ثم تبدل ذلك الموقف حيث تقرر أن يقتل نوري السعيد في داره ويشاع أنه قتل في أثناء الهجوم عليه، وتسقط الجنسية العراقية عن ولي العهد (عبد الإله) ويسّفر إلى خارج العراق ويحتفظ بالملك ويؤتى به إلى وزارة الدفاع وتذاع البيانات باسمه ومن ثم بعد استقرار الثورة يصار إلى تنازله.

أما اللجنة العليا للضباط الأحراء التي تشكلت سنة 1956 برئاسة الزعيم الركن عبد الكريم قاسم فقد اتفقت منذ البداية على إنهاء الملكية وإعلان الجمهورية. وتشكيل حكومة تتمسك بالديمقراطية وتستند إلى نظام برلماني يقرره الشعب، ولم يتفق على تصفية الملك فقد رأى عبد الكريم قاسم الإبقاء على حياة الملك وإكراهه على الظهور بالتلفزيون وإعلان تأييده للثورة. وقد ظل عبد الكريم قاسم على هذا الرأي حتى

أوائل عام، 1958 ولكن مع مرور الوقت واقتراب تنفيذ الثورة تغيرت مواقف الضباط من الملك والنظام الملكي، أصبحت مجموعة منهم ترى ضرورة تصفيتهم فور قيام الثورة، بينما نادى آخرون بالإبقاء على حياة الملك والنظام الملكي والتخلص فقط من عبد الإله ونوري السعيد وإقامة وزارة وطنية، هذا بينما رأت جماعة أخرى ضرورة إجبار الملك على التنازل عن العرش بنفس الوقت الذي عارضت فيه قتل الملك.

ظل الموقف من الملك فيصل الثاني والنظام الملكي مثار جدل واسع بين الضباط الأحرار، وفي الوقت الذي كان فيه شبه إجماع على التخلص من الأمير عبد الإله ونوري السعيد، اتفقت الأكثرية على المحافظة على حياة الملك وإبعاده إلى خارج العراق لصغر سنه وعدم مسؤوليته.

كان الاجتماع المهم والحاسم بالنسبة للملك هو الذي حدث يوم 11/ تموز/ 1958 بين الزعيم عبد الكريم قاسم والعقيد عبد السلام عارف والعقيد عبد اللطيف الدراجي والسيد رشيد مطلك، تباحثوا خلاله في مصير الملك وعبد الإله ونوري السعيد وتقرر في هذا الاجتماع قتل عبدالإله ونوري السعيد إما مصير الملك فقد ظل معلّقاً باستشارة بعض الزعماء المدنيين، فذهب رشيد مطلك إلى دار كامل الجادرچي لمعرفة رأيه ول مصير الثلاثة الكبار، فأخبره بأن مصير عبد الإله ونوري السعيد قد تقرر صباح هذا اليوم وهو القتل أما مصير الملك فبقي معلقاً. . وكان رأي الجادرچي أنه ضد عملية القتل سواء تعلق الأمر بالملك أم بغيره.

والواقع أن مصير الملك فيصل الثاني لم يبق معلقاً على أثر ذلك الاجتماع، ذلك أن الزعيم عبد الكريم قاسم والعقيد عبد السلام عارف كانا قد قررا قتل الملك مع عبد الإله ونوري السعيد وأصبح ذلك القرار نهائياً.

الفصل الأول

الليلة الأخيرة

13/ 7/ 1958

نحن اليوم في 13 تموز 1958.

اليوم يوم أحد، والملك فيصل الثاني يستعد للسفر، في الساعة الثامنة من صباح غد الاثنين، على طائرة «فايكاونت» خاصة من طائرات «شركة الخطوط الجوية العراقية»، قاصداً استنبول.

وسيرافقه رئيس وزرائه السيد نوري السعيد، ووزير الخارجية السيد توفيق السويدي، والدكتور محمد فاضل الجمالي. وبعد أن يحضر الملك ومرافقوه مؤتمر رؤساء دول حلف بغداد في استنبول، يسافرون إلى لندن، حيث تنتظرهم مهام أخرى. ففي 24 تموز، سينعقد مؤتمر بريطاني ـ عراقي في وزارة الخارجية البريطانية، للبحث في موضوع الكويت، استطراداً لمباحثات بدأت في بغداد، حيث كانت الحكومة العراقية قد قدمت إلى الحكومة البريطانية مذكرة قوية في هذا الصدد. وفي 28 تموز يعقد مجلس حلف بغداد مؤتمره الصيفي.

وفي لندن، كان الملك يتوقع أن يلاقي خطيبته الأميرة فاضلة، وكان مقرراً زواجه منها في تلك السنة. وسيرافقه في هذه الرحلة، خالته الأميرة بديعة، وزوجها الشريف الحسين بن علي. ومع أن خاله الأمير عبد الإله سيبقى في بغداد لكي يدير أمور العرش، فإن زوجته الأميرة هيام سترافق الملك إلى لندن. فقد ألح الملك فيصل باصطحابها لكي تساعده على

مشترى بعض الهدايا لخطيبته الأميرة فاضلة، على أن تعود إلى بغداد بعد أسبوعين.

وكان قد سبق الملك إلى لندن، رئيس التشريفات الملكية السيد تحسين قدري، لكي يشرف على منهاج استقباله وإقامته.

❀ ❀ ❀

قبل ظهر ذلك اليوم، أي الأحد في 13 تموز، استقبل الملك بعض الزائرين في مكتبه الصغير في قصر الرحاب. ثم تناول الغداء متأخراً مع أسرته، ودخل إلى غرفته حيث اهتم بإعداد حقائب السفر.

وعند العشية، خرج الملك إلى شرفة قصر الرحاب يتناول الشاي، مع خاله عبد الإله، وخالته الأميرة عابديه، التي تشرف على العناية به في البيت، منذ صغره.

كان معهم أيضاً الأميرة بديعة والشريف حسين، والأميرة هيام، وكذلك صديقتان عراقيتان، من أنسباء أحد كبار الضباط.

كان الحديث يدور حول رحلة الغد، ولقاء فاضلة، ومشروع الزواج. وكان الجو مرحاً جداً، حتى أن الأمير عبد الإله، المعروف بانكماشه، كان شديد الانطلاق. **غير أن الأميرة عابدية كانت مضطربة. وكلما قال أحدهم شيئاً، كانت تصيح به: قل إن شاء الله!**

وكان الملك يضحك من ملاحظاتها، ويقول لها: ابلا جيجي... لماذا أنت متشائمة؟ طبعاً إن شاء الله!.

كان الجميع يتطلعون إلى الملك ويبتسمون، فيحمر وجهه، ويضع يده على رأسه، ويتساءل ببساطته المعهودة: زين؟ قولوا الحقيقة... زين؟.

ذلك أن الملك قص ذلك الصباح شعره مسحاً لأول مرة، لقد كان شعره في الماضي يقفز إلى الوراء صعداً، خاصة عندما يستطيل. وعبثاً استعمل مختلف الوسائل لتثبيته مكانه، فكان يتمرد عليه.

ولكنه مسافر غداً للقاء خطيبته، لذلك صمم على التخلص من هذا الاختلال في مظهره، فاستدعى المزين «الحلاق»، وقص له شعره قصيراً، فتبدل شكله تماماً، وانسجم شعره مع وجهه، فكان هذا التبدل يستلفت النظر لأول وهلة.



كان الملك فيصل يترك شعره طويلاً ويسرحه دوماً إلى الوراء، كما ترى في الصورة أعلاه. ولم يقصه قصيراً إلا في آخر يوم من عمره، مما يرد ذكره في هذا الفصل.

ولما سألته إحدى الضيفتين ماذا فعل، لكي تعالج هي الأخرى شعر ابنها بالطريقة ذاتها، قال لها الملك:

ـ قولي للحلاق أن يحلق لي على «النمرو واحد»!

❀ ❀ ❀

وفيما هم يتحادثون ويسمرون، لاحظوا سيارة «فولكسفاغن» آتية من جهة المدينة، على طريق الشام المحاذي للقصر، فوقفت قليلاً أمام مدخله، ثم دخلت ووقفت قرب الباب الرئيسي، وترجل منها ضابط يقودها.

وما لبث أن دخل مرافق الأمير عبد الإله، يحمل مغلفاً قال إن الضابط الوافد قد جاء به، فسلمه إلى الملك، ففضه وأخرج منه بطاقة.

تأمل الملك البطاقة، فلم يبد على وجهه أي رد فعل. لقد كان ـ على حداثة سنه ـ معروفاً بمقدرته على ضبط أعصابه فلا ينعكس على وجهه أي أثر لما يشعر. ولكن الملك ظل يتأمل بالبطاقة أكثر من دقيقة.

وصمت الجميع ينتظرون، وما لبث الملك أن ناول البطاقة إلى خاله، فقرأها هذا بسرعة. وفجأة تبدل وجهه، فعلاه الاصفرار، وارتجفت يده بينما مسح بالأخرى شعره بعصبية ظاهرة. ثم تطلع بالملك فيصل، ونهض قائلاً:

ـ اعذروني...

ودخل الأمير إلى البهو، حيث اتصل هاتفياً بمدير الأمن العام، ثم استأذن من الحضور قائلاً:

ـ أنا مضطر للذهاب قليلاً...



هذه الصورة هي آخر صورة معروفة للملك فيصل، وقد التقطت يوم الجمعة في 11 تموز 1958، في حديقة قصر الرحاب. وهي تمثل نوري السعيد (إلى اليمين) ينحني أمام الملك، وقد جاء لزيارته إثر عودته من لدن واستانبول. ويبدو بينهما رئيس التشريفات تحسين قدري. وإلى اليسار الرئيس ثابت مرافق الملك، الذي قتل، هو الآخر، يوم الثورة.

وشاهدوا الأمير ينزل، ويركب وحده بسيارة «الفولكسفاغن» إلى جانب سائقها الضابط، ويغادر القصر في اتجاه طريق المطار.

وساد الحضور الانقباض، ولكن الملك قال: هيا بنا نشاهد فلما...

وعلى الأثر توجه الملك والأميرة بديعة، والشريف حسين، والضيفتان، إلى قصر الزهور الذي يبعد زهاء كيلومتر واحد عن قصر الرحاب، حيث شاهدوا رواية «لعبة البيجاما»، من تمثيل دوريس داي.

وعادوا من مشاهدة الفيلم عند الساعة العاشرة تقريباً، وتناولوا العشاء، فوافاهم الأمير عبد الإله إلى المائدة، ولكنه لم يفتح فمه طيلة الطعام؛ بل كان واجماً قلقاً.

وبعد العشاء، نهضت الأميرة بديعة وزوجها للذهاب فأكبت على الملك تعانقه وتقبله بحرارة. فقالت لها إحدى الضيفتين:

ـ ولماذا هذا الوداع؟إنك ستسافرين معه غداً إلى إنكلترا...

فأجابت: صحيح، ولكن غداً سيكون الجو جو رسميات وتشريفات، ولن ألتقي به...

وانصرفت الضيفتان، وعاد الملك والأمير إلى الشرفة، حيث مكثا قليلاً. ثم ذهب كل منهما إلى غرفته، وكانت الساعة قد بلغت الثانية عشرة تماماً.

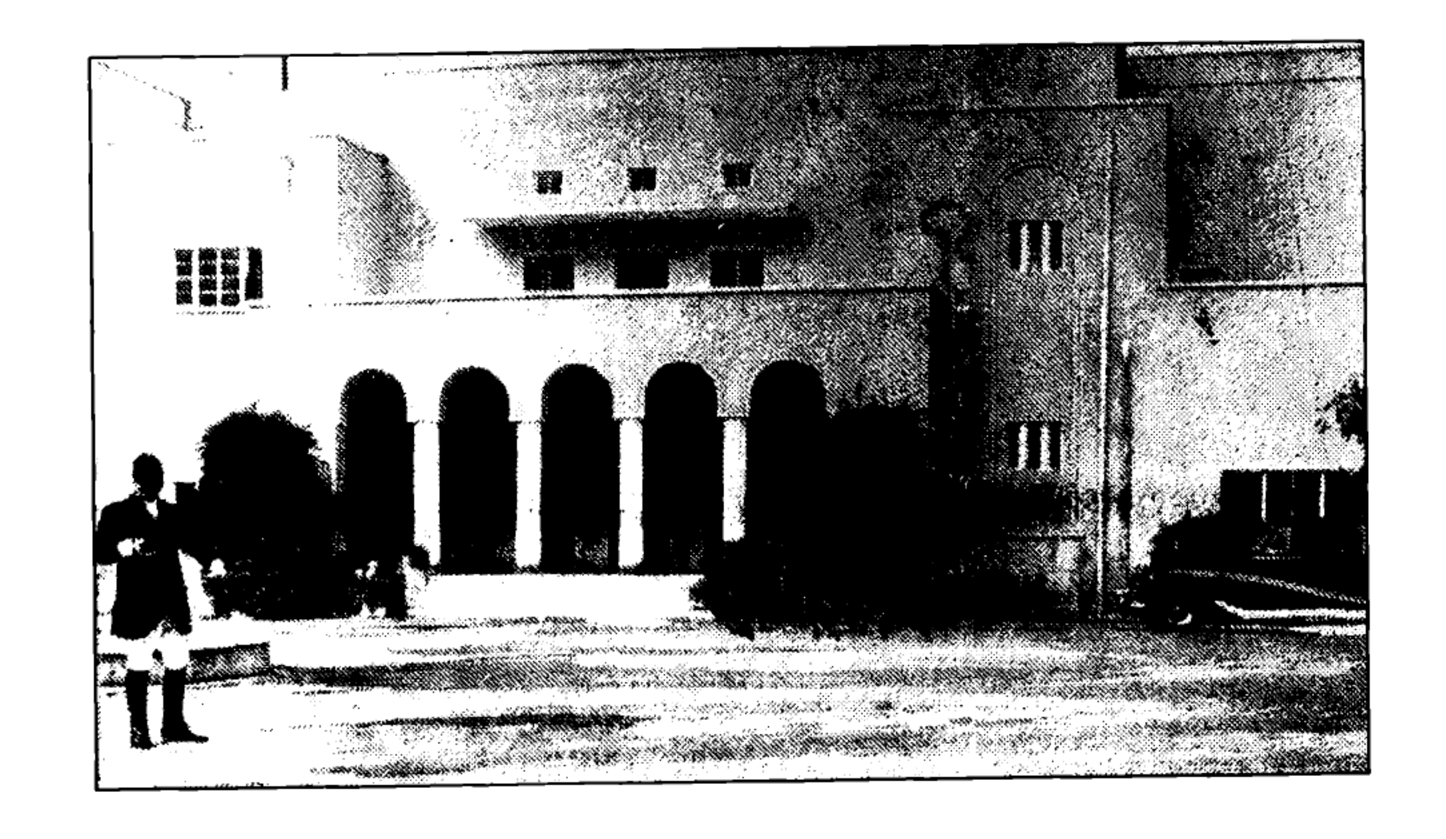
❀ ❀ ❀

كانت غرفة نوم الملك في الجناح الأيمن من ذلك القصر الصغير، وعلى مقربة منه غرفة خالته الأميرة عابدية. وكان عبد الإله وزوجته ينامان في الجناح الآخر، وإلى جانب غرفتهما غرفة والدته الملكة نفيسة (أرملة المغفور له الملك علي).

لقد كان الملك السابق، المغفور له الملك غازي، يقطن قصر الزهور؛ وهو أفضل وأوسع من قصر الرحاب الواقع تماماً على طريق الشام، لا يفصله عنها سوى حاجز صغير يستطيع أي كان القفز منه إلى حديقة القصر. أما قصر الزهور فإنه أكثر مناعة منه. غير أن الأمير عبد الإله كان يكرهه كرهاً شديداً، وكان يقول بعد مصرع الملك غازي في الطريق إلى مدخل القصر سنة 1939: هذه دار شؤم!



منظر عام لقصر الزهور في «المنصور»، وقد ابتناه الملك فيصل الأول سنة 1933.



منظر عام لقصر الرحاب في «الحارثية»، وقد ابتناه الأمير عبد الإله سنة 1944.

وبعد غازي أصبح الأمير عبد الإله وصياً على العرش، وكان يقطن في بيت خاص مطل على نهر دجلة. ثم باشر في بناء بيت له في حي المنصور على مقربة من جسر الخر، وعلى بعد كيلومتر واحد من قصر الزهور الواقع في حي الحارثية. وقد تم بناء هذا البيت سنة 1944، وانتقل إليه عبد الإله في العام التالي، وأطلق علي اسم قصر الرحاب.

أما الملك فيصل، فقد بقي مع والدته المغفور لها الملكة عالية، في قصر الزهور. ثم سافر إلى إنكلترا ليدرس. وفي هذه الأثناء توفيت الملكة عالية، أي في العام 1951، وخلا قصر الزهور. ولما عاد الملك نهائياً إلى العراق سنة 1953 لكي يتسلم صلاحياته بعد بلوغه سن الرشد وانتهاء عهد الوصاية، دار البحث في احتمال إقامة فيصل وحده في قصر الزهور أو استقراره في قصر الرحاب، فرجح الأمير عبد الإله الاحتمال الثاني، وبذلك أصبح قصر الرحاب القصر الملكي. أما قصر الزهور فبقي مقراً لكبار الضيوف الوافدين على بغداد، ومركزاً للواء الحرس الملكي وقيادته.

ولم يكن في قصر الرحاب ما يؤهله لأن يكون قصراً ملكياً. إنه بيت عادي صغير، ذو طابقين فقط، واقع ضمن حديقة واسعة. وقد أضيف إليه فيما بعد جناح آخر، حتى أصبح يتسع للأسرة المالكة المقيمة فيه والمؤلفة - كما أسلفنا - من الملك والأمير، والملكة نفيسة والأميرة عابدية.

وكانت حجرات النوم واقعة في الطابق الأعلى. أما في الطابق الأسفل، فكان يوجد مكتب الملك، وهو عبارة عن غرفة صغيرة جداً، كان الملك يودع فيها حاجاته الشخصية وكان فيه صالون واسع أنشأه الأمير عبد الإله، وبعض غرف للحاشية.



خطيبة الملك فيصل الأميرة فاضلة في صورة مأخوذة لها في آب 1960، وهي تقوم برحلة في البحر الأبيض المتوسط. وقد أطلقوا عليها لقب «الأميرة التي لا يعرف وجهها الابتسامة»!

وكانت الأسرة كلها تعيش عيشة عائلية «بورجوازية»، معتدلة المستوى، دون المألوف حتى في بيوت الفئات الميسورة. ذلك أن مواردها المالية كانت محدودة، فراتب الملك فيصل كان 48 ألف دينار في السنة، ومخصصاته 12 ألفاً. وراتب الأمير عبد الإله، بوصفه ولياً للعهد، كان 12 ألف دينار في السنة ومخصصاته تسعة آلاف.

وقد بوشر سنة 1955 بتشييد قصر لائق للملك، وكان مقرراً أن ينتهي إنشاؤه في سنة 1958، وأن ينتقل إليه الملك في نهاية تلك السنة، مع عروسه الأميرة فاضلة. على اعتبار أن زواجهما سيتم في الخريف. وإذا كان عرسهما قد تأخر طوال تلك المدة، فلأن الملك لم يكن يرغب في أن تقيم فاضلة معهم في قصر الرحاب الضيق، فقرر تأجيل الزواج إلى حين انتهاء القصر الجديد.



... وهكذا، عند الساعة الواحدة صباحاً، أطفئت الأنوار في القصر؛ وآوى ساكنوه إلى أسرتهم، إلا الملكة نفيسة، فقد ظل النور منبعثاً من شرفتها. كانت مصابة تلك الليلة بأرق شديد، فظلت جالسة على سجادة الصلاة، تقرأ القرآن الكريم...

أما الآخرون فقد ناموا، ولكن القدر لم ينم...

... ولا الضباط المتآمرون ناموا!

الفصل الثاني

إذا نزل القدر عمي البصَر

إلى أين ذهب الأمير عبد الإله تلك العشية في سيارة «الفولكسفاغن»؟

وماذا تضمنت الرسالة التي حملها الضابط؟ ولماذا اضطرب الأمير وفقد ابتسامته لما شاهد البطاقة المصورة التي كانت ضمنها؟

لقد اتضح فيما بعد، أن الأمير ذهب إلى الدارة التي كان يشيدها يومئذ على ضفة دجلة في الكرخ، حيث وافاه إلى هناك مدير الأمن العام بهجت العطية.

ولا شك أن موضوع الرسالة التي تلقاها، كان مزعجاً جداً، إلى درجة جعلته يغادر القصر في تلك العشية ويجتمع بنفسه إلى مدير الأمن العام.

لقد كان ضمن الرسالة ينذر الأمير بالعاصفة المتعالية، ولكن لا النذر ولا التحذيرات، كانت تنقص الأمير، ولا نوري السعيد!

كل من في بغداد، كان يشعر حركة غير عادية في صفوف الضباط. وكانت الشائعات تترى عن محاولات انقلابية يجري إعدادها هنا وهناك. وكانت أنباؤها تصل إلى القصر، وتنطفىء فيه!

لقد كان نوري السعيد يعتقد اعتقاداً جازماً أن الجيش في قبضة يده

مئة بالمئة، ويؤيد سياسته بما يشبه الإجماع. وكان يظن أن ما يغدقه على الجيش، وخاصة الضباط، من رواتب عالية ومن أسباب الترفيه، سيصون الجيش من الدعايات ضده، ويمنعه من الانزلاق في السياسة.

ولكن نوري كان يبني اعتقاده هذا على حدسه الشخصي، لا على معلومات دقيقة. لقد كان جهاز الاستخبارات الداخلي ضمن الجيش أضعف الأجهزة على الإطلاق. وكان مفروضاً في رجل كنوري السعيد وهو السياسي المحترف أن، يعتمد على الجيش وحده في تنفيذ سياسته، ويستهين بالرأي العام، أن يتقن سيطرته على الجيش اتقاناً تاماً. ولكنه لم يفعل شيئاً في هذا الصدد، وكان آخر من يعلم ما يجري فيه، قانعاً بعلاقاته الشخصية مع هذا الضابط أو ذاك، مردداً: إنهم كأولادي...



وفي مطلع الشتاء وقع حادث كان يجب أن يفتح عيون الجميع على ما هو آت. فقد ذهب الملك والأمير إلى معسكر الحبانية لحضور مناورات الجيش، وكان ذلك في كانون الأول 1957. وكان يرافقهما أركان الدولة والحاشية ورجال السلك الدبلوماسي.

وفيما كانت المدافع تطلق قنابلها بعيداً، سقطت قنبلة على بعد أمتار من الملك فيصل والأمير عبد الإله، فانفجرت دون أن تصيب أحداً بأذى.

ولم يكن ثمة شك في أن الحادث مقصود، أن الذين أطلقوا القنبلة، تعمدوا تصويبها إلى جهة الملك والأمير، فقصرت عنهما أمتاراً فقط. ومع ذلك لم يهتم الأمير ونوري السعيد للحادث، وساد الاعتقاد بأنه وقع قضاء وقدراً...



نوري السعيد بين الضباط في مطار الحبانية. ويبدو إلى أقصى اليمين زعيم الجو كاظم عبادي، كما يبدو تماماً وراء نوري اللواء أحمد صالح العبدي الحاكم العسكري في العراق منذ الثورة.

ومن غرائب الصدف أن رئيس أركان الجيش الفريق محمد رفيق عارف، كلف بالتحقيق في هذا الحادث أحد الضباط المنتمين إلى كتلة «الضباط الأحرار» السرية، التي كانت تعد الانقلاب. فوضع هذا الضابط تقريراً يؤكد أن القنبلة شردت بسبب عطب آلي في المدفع، فاطمأن الأمير ونوري. وكان قبولهما لهذا الرأي سبباً في التقاعس عن استقصاء الحقائق. ولكن بعد الانقلاب، اعترف الضباط أن حادث القنبلة كان مدبراً، وأنهم تعمدوا تصويبها إلى الملك والأمير وأركان الدولة، على أمل أن تنفجر فيما بينهم وتودي بهم.

وبعد ذلك، بدأت تصل إلى القصر ونوري تقارير سرية عن مؤامرات تحاك في الجيش، متضمنة أسماء الذين نفذوا انقلاب 14 تموز 1958. وكانت هذه المعلومات ترد عن غير طريق استخبارات الجيش، وبصورة خاصة من مديرية الدعاية العامة، ومديرية الأمن العام.

وكان نوري يهمل المعلومات التي ترده، ولا يبلغها للقصر، تجنباً لإزعاج الملك والأمير، على حد قوله. وأخيراً أخذ المنذرون يرسلون تحذيراتهم إلى الملك والأمير مباشرة. فكان الأمير يستدعي رئيس أركان الجيش الفريق محمد رفيق عارف، ويعرض عليه هذه التحذيرات، فيهز كتفيه وينفيها، ويمانع في إجراء أي تحقيق في الجيش، لأنه كان يرى في التحقيق مساساً في كفاءته ومقدرته وسيطرته على الجيش. وكان يزعم أنه قابض على الجيش بقوة، مع أن الحوادث أثبتت أنه كان مخطئاً. وكانت شبكات المؤامرات تحاك تحت أنفه، وهو في غفوة عنها، جاهلاً ما يجري حوله.

ولم يكن الأمير عبد الإله مطمئناً للجيش، وكان يعرب في بعض أحاديثه الخاصة عن ارتيابه في الضباط الصغار على الأقل، ويشك في إطاعتهم للأوامر. ولكنه كان مؤمناً كل الإيمان بسيطرة نوري السعيد على الجيش، ومقدرته على ضبطه!

والعجيب أن الأمير لم يكن يتوقع حركة على يد صغار الضباط، ويعتقد أن صغر رتبهم يحد من طاقتهم على العمل، بل كانت الشكوك تحوم حول نوايا الفريق محمد رفيق عارف. وكان الكثيرون يتهامسون أن عارف هو الذي قد يقوم بالانقلاب. واتجهت شكوك أخرى إلى اللواء غازي الداغستاني قائد الفرقة الثانية (التي ينتمي إليها اللواءان التاسع عشر والعشرون).

ثم تبين فيما بعد أن عارف لم يفكر في أي انقلاب. غير أن الداغستاني اعترف أثناء محاكمته، بعد الثورة، إن فكرة انقلاب ضد الأمير ونوري ـ لا ضد الملك ـ كانت تراوده جدياً، وأنه وضع خطة بها.

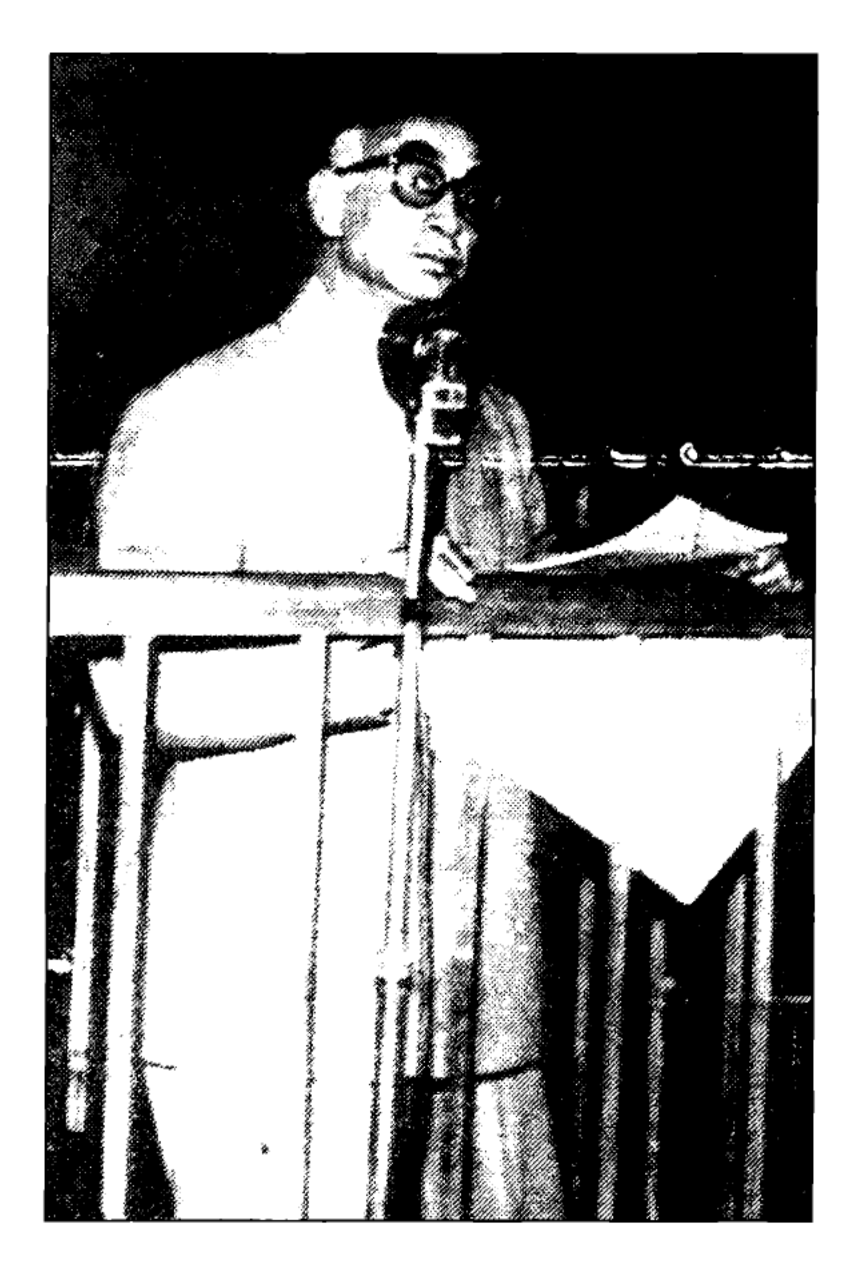
❁ ❁ ❁

وفي مطلع الصيف، وردت إلى القصر تحذيرات جديدة، منها من بعض الضباط، ومنها من مديرية الأمن العام بواسطة مديرها بهجت العطية. وقد أبدى العطية من اللجاجة في مراجعة الأمير عبد الإله، ما أزعج الأمير. وكان الأمير ينقل تقارير العطية إلى الفريق عارف، فكان يكذبها ويتهم العطية بالتجسس على الجيش وبالدس.

وما لبث العطية أن تلقى في أوائل أيار معلومات وثيقة عن مؤامرة «الضباط الأحرار» وأسماء قادتهم، فلم يجرأ على تقديمها للأمير، ولكنه ذهب إلى وزير الداخلية يومئذ سعيد القزاز، وسلمه القائمة، وطلب إليه أن يتدبر الأمر مع البلاط.



اللواء غازي الداغستاني يتلو دفاعه عن نفسه أمام محكمة «الشعب» إثر الثورة. وقد حكم عليه بالإعدام، ثم شمله عفو، وأطلق سراحه في مطلع 1960. وكان الداغستاني قائد الفرقة الثانية التي ينتمي إليها اللواء العشرون.



مدير الأمن العام بهجت العطية. يتكلم أمام محكمة «الشعب» «المهداوي». وقد حكم عليه رئيسها العقيد المهداوي بالإعدام، وظل العطية ينتظر مصيره في السجن أكثر من سنة، إلى أن نفذ فيه حكم الإعدام شنقاً، يوم الأحد في 20 أيلول 1959.

وحمل السيد سعيد القزاز القائمة إلى الأمير، فغضب الأمير من عودة العطية إلى التدخل في أمور الجيش، فاستدعاه إليه وقال له:

- إني أمنع دوائرك أن تدس أنفها بعد اليوم في الجيش، تحت طائلة العقاب...

وعاد العطية يروي ما حدث لبعض أصدقائه. ويقول:

- ما العمل مع هؤلاء؟ إنني في مركب واحد معهم. وأعرف أنني سأموت إذا ماتوا... ولكنهم يرفضون الإصغاء حتى إلى البراهين المسجلة التي أقدمها إليهم!

وفعلاً، كان العطية في مقدمة الذين اعتقلوا عقب الثورة، ثم حوكم أمام محكمة الشعب «المهداوي» وحكم عليه بالإعدام، ونفذ الحكم به شنقاً، مع سعيد القزاز وسواه، سنة 1959.

❀ ❀ ❀

ثم جاء إلى البلاط الإنذار الحاسم. ففي ذات يوم في حزيران 1958، وجد الملك فيصل على مكتبه في قصر الرحاب رسالة مجهولة المصدر، تتضمن تفاصيل المؤامرة، وأسماء الضباط الذين يعدونها واحداً واحداً.

وجرى تحقيق دقيق لمعرفة اليد التي وضعت الرسالة على مكتب الملك، فلم يصل إلى نتيجة. وعلى الأثر اجتمع الأمير عبد الإله ونوري السعيد والفريق عارف، واستعرضوا أسماء الضباط المتهمين، فوجدوا أن أكثرهم من المقربين إلى أركان الدولة. فالزعيم قاسم ربيب نوري السعيد، والزعيم ناجي طالب مقرب من البلاط، والعقيد عبد السلام عارف يعطف عليه الفريق عارف والعقيد رفعت الحاج سري يحميه المرحوم جميل المدفعي الخ.

واتفقوا على أن يستدعي كل من أركان الدولة الضباط المحسوبين عليه، وأن يصارحهم الأمر. وفعلاً استدعى نوري أكثر أولئك الضباط إلى وزارة الدفاع، وكان الزعيم عبد الكريم قاسم في مقدمتهم، فسأله:

ـ أصحيح أنك تتآمر علينا يا «كرومي»؟

فأنكر قاسم، وأقسم الإيمان المغلظة، مؤكداً ولاءه ووفاءه. فاطمأن نوري، وخرج عبد الكريم قاسم يعطي رفاقه المنتظرين إشارة تطمين متفقاً عليها، بينما سارع نوري السعيد يبلغ الأمير:

ـ لقد أجريت تحقيقاً مع عبد الكريم، رئيس المؤامرة المزعومة فثبت لي أن الأمر لا يعدو الوشاية!

وقد كان عبد الكريم قاسم أكثر الضباط حظوة عند نوري السعيد، وأكثرهم دالة عليه. وهذه الحظوة هي التي حمت عبد الكريم من كل ملاحقة. فمذ رجع عبد الكريم قاسم من الأردن سنة 1957، حيث كان يقود لواء عراقياً، والتقارير تترى عن اتصالات قام بها قاسم مع خصوم الدولة، وعن اجتماعات عقدها ومؤامرات دبرها. ولكن نوري كان يسخر بهذه التقارير، ويعتبرها وشايات مختلفة من حساد عبد الكريم، للإيقاع به لديه ظلماً. وهكذا رفض نوري السعيد أن يصغي إلى كلمة واحدة ضده. وكان عبد الكريم يتقن التزلف إلى نوري، وإيهامه إنه هو سنده الأكبر بين الضباط، فيما كان يعد في الخفاء ثورته!

❀ ❀ ❀

وجاء الإنذار الأخير من الملك حسين، ملك الأردن. ففي مطلع تموز 1958، طلب الملك حسين إرسال قوة عراقية ترابط في الأردن، توطيداً للاتحاد الجديد المعقود بين البلدين. وعلى الأثر أوفدت الحكومة العراقية رئيس الأركان الفريق رفيق عارف إلى عمان لدراسة الموقف.



الملك فيصل الثاني مع الملك حسين بن طلال.

ويوم 11 تموز، قرر الفريق عارف العودة إلى بغداد، ليكون في وداع الملك فيصل يوم 14 تموز، فذهب إلى قصر بسمان ليستأذن الملك حسين في السفر. ولهذه المناسبة قال له:

ـ لقد قررنا أن نوفد إلى الأردن اللواء التاسع عشر بقيادة الزعيم عبد الكريم قاسم...

فأجاب الملك حسين، بحضور رئيس الديوان السيد بهجت التلهوني:

ـ لا ترسلوا لنا عبد الكريم قاسم، فعندنا عنه معلومات غير مرضية. وكنت مقرراً أن اجتمع إليك قبل سفرك، لأبلغك وجود حركة غير عادية في الجيش العراقي. إن لدينا معلومات وثيقة عن مؤامرة يدبرها عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف...

وكان قد سبق لدوائر الاستخبارات الأردنية إن قدمت للقيادة العراقية معلومات عن حركات مشبوهة قام بها قاسم وعارف أثناء وجودهما في الأردن، ولكن بغداد لم تأبه لهذه المعلومات.

فأبدى الفريق عارف استغرابه وقال:

ـ يا سيدي، لا يوجد شيء من هذا، فنحن واثقون من صفاء صفوف جيشنا...

وعاد الملك حسين يكرر التحذير، ثم تناول الهاتف واستدعى ضابطين أردنيين، كانا قد عادا أخيراً من العراق بعد أن قاماً فيه بجولة تدريبية طويلة، أتاحت لهما الاتصال بعدد من ضباط الجيش العراقي.

وروى الضابطان أمام الملك والفريق عارف ما وقفا عليه من معلومات، وعن المؤامرة التي يدبرها قاسم وعارف، مع إيضاحات مدعومة بالأسماء والأيام.



بعد الانقلاب: الفريق محمد رفيق عارف أمام «محكمة الشعب» التي تألفت إثر الثورة لمحاكمة خصومها من أركان العهد الماضي.

ولكن الفريق عارف استهتر بهذا كله، وقال بمنتهى السخرية: طيب... طيب... بنشوف!

وقبل مقابلة الفريق عارف للملك اجتمع إلى رئيس الوزارة الأردنية السيد سمير الرفاعي، بحضور رئيس أركان الجيش، وحدثه الرفاعي عن المعلومات الواردة على الاستخبارات الأردنية من بغداد عن مشروع الانقلاب، فتململ عارف وقال:

ـ أتريدون كلما نسمع صوتاً أو شائعة أن نعتقل المتهمين بها؟ يعني تريدون أن نعتقل ألف ضابط؟ كلا، هذه كلها أكاذيب...

ولما ألح عليه رئيس الأركان الأردني اللواء المجالي، في حديث شخصي، بالتحقيق في الأمر فور عودته إلى بغداد، قال عارف:

ـ لا يا باشا، فالجيش العراقي بكامله في جيبي!



ولما عاد الفريق عارف إلى بغداد، تقرر تأجيل سفر الزعيم عبد الكريم قاسم على رأس اللواء التاسع عشر إلى الأردن، على أن يسافر أولاً اللواء العشرون الذي يرأس العقيد عبد السلام عارف أحد أفواجه الثلاثة.

وقد جرت العادة في جميع الدول، عندما تمر قطعات الجيش في عاصمتها، أن توضع قوى الجيش والشرطة فيها تحت الإنذار. ولكن، لا رئيس الوزارة نوري السعيد ولا الفريق عارف رئيس الأركان، اتخذا أي تدبير في هذا الصدد. وصرح فيما بعد وزير الداخلية سعيد القزاز أن رئاسة الوزارة لم تبلغه شيئاً عن قدوم القطعات إلى العاصمة، لكي يضع قوى الشرطة فيها في حال الإنذار، وخاصة القوة الضاربة الموجودة في معسكرات الشرطة في الصالحية، وهي مؤلفة من ثلاث آلاف شرطي،

مدربين تدريباً عسكرياً، ومجهزين بأحدث الأسلحة الأوتوماتيكية والمصفحات. وكانت القوة الرئيسية التي يعتمد نوري السعيد عليها ضمن العاصمة.

وهكذا دخل اللواء العشرون بغداد في يوم 14 تموز 1958، وكل من فيها نيام، ولم يجد في طريقه أحداً، فاحتل العاصمة، دون أية مقاومة!

وهنا يتساءل القارىء: ولماذا مر اللواء العشرون في بغداد، ولم يمر في سواها؟

الجواب على ذلك هو أن اللواء العشرين قادم من «جلولاء»، الواقعة إلى الشمال الشرقي من بغداد. ولكي يتجه نحو الأردن، يجب أن يجتاز العاصمة، لكي يعبر نهر دجلة فيها على جسر الخر، ويتابع سيره من هناك على طريق الشام شرقاً. وقصر الرحاب يبعد مئة متر فقط عن جسر الخر، ويقع تماماً على محاذاة طريق الشام. وبهذا كانت طريق اللواء العشرين إلى الأردن تأتي به في خط مستقيم إلى قصر الرحاب مباشرةً. ولا يوجد في بغداد أي جسر آخر يمكن المرور عليه نحو طريق الأردن غير جسر الخر، مما أعطى المتآمرين فرصة لم يكونوا يحلمون بها لتنفيذ خطتهم!

ويقال إن الحكومة لم تصدر أمراً بوضع قوى العاصمة تحت الإنذار عند مرور اللواء العشرين، لأنها اعتبرت الطريق المشار إليها طريق ضاحية، ولن يدخل اللواء العاصمة بالذات. ولكنها نسيت أن طريق الضاحية هذه كانت طريق قصر الرحاب!

الفصل الثالث

إعدَاد المؤامَرة

هذا التحقيق لا يتناول ثورة 14 تموز، ولا مدبريها، بل يقتصر على وصف مقتل أركان العهد الملكي السابق. ومع ذلك، لا بد من ذكر بعض المعلومات عن الحركة الثورية، بإيجاز، حتى ينتظم تسلسل الحوادث.

منذ وقع الانقلاب العسكري في مصر ونجح، في تموز 1952، أخذت فكرة الانقلاب تراود بعض الضباط في الجيش العراقي. ويقال إن العقيد صالح عبد المجيد السامرائي، الملحق العسكري السابق في عمان، رسم الخطوط الأولى للحركة. ثم تبناها في آخر تلك السنة العقيد رفعت الحاج سري، بالتعاون مع الزعيم ناظم الطبقجلي (الاثنان أعدمهما قاسم في سنة 1959). وكان رفعت الحاج سري يومئذ آمراً لسرية الهندسة في معكسر الرشيد، فألف نواة الحلقة الأولى. وأطلق عليه رفاقه فيما بعد لقب «جمال العراق»، على اعتبار أنه يقوم في الحركة بالدور الذي قام به جمال عبد الناصر في إعداد الثورة المصرية يومئذ.

وفيما كان رفعت الحاج سري يوسع حلقته، كان الرئيس عبد الجواد حميد يؤلف حلقة صغيرة أخرى في الموصل، كما كان الزعيم الركن عبد الكريم قاسم قد ألف منذ زمن حلقة خاصة به، واتخذ العقيد عبد السلام عارف مساعداً له. وقد ادعى قاسم الأقدمية في تأسيس الحركة الثورية،



العقيد رفعت الحاج سري



الزعيم ناظم الطبقجلي

كان العقيد الحاج سري والزعيم الطبقجلي قائدي الحلقة الثانية من «الضباط الأحرار». وقد اتهمهما قاسم بعد الانقلاب بالتآمر عليه، واعتقلا إثر ثورة الموصل، فحوكما أمام محكمة المهداوي وحكم عليهما بالإعدام مع عدد آخر من الضباط، ونفذ الحكم فيهما رمياً بالرصاص يوم 20 أيلول 1959.

وصرح بعد نجاح الحركة أنه كان يضمر الانقلاب ويستعد له منذ سنة 1936.

وفي نهاية 1954، تم الاتصال بين حلقة رفعت الحاج سري وحلقة عبد الكريم قاسم، فاتفق الطرفان على الائتلاف، واختاروا لجنة مؤلفة من 12 ضابطاً، مهمتها إدارة الحركة الثورية، **وأطلقوا عليها اسم «اللجنة المركزية للضباط الأحرار». وهذه أسماؤهم:**

الزعيم الركن عبد الكريم قاسم

الزعيم الركن ناجي طالب

الزعيم الركن عبد الوهاب الأمين

الزعيم الركن محي الدين عبد الحميد

العقيد الركن عبد السلام عارف

العقيد الركن عبد الوهاب الشواف

العقيد الركن عبد الكريم فرحان

العقيد المهندس رجب عبد المجيد

العقيد رفعت الحاج سري (متقاعد)

العقيد طاهر يحيى (متقاعد)

العقيد وصفي طاهر (مرافق نوري السعيد)

الرئيس الأول الطيار محمد سبع (متقاعد)

وفي نيسان 1958، انضمت حلقة ضباط الموصل إلى المنظمة الجديدة، فاكتملت الشبكة، وأخذ الضباط يتحينون الفرصة للعمل. وكان عددهم قارب 150 ضابطاً في مختلف المراكز والألوية، أكثرهم من صغار الرتب.

وبعد ثورة 14 تموز بأيام رفض قاسم وعارف الاعتراف باللجنة، ووصفها عارف بأنها هيئة شكلية لم تتحمل شيئاً من أعباء الحركة، بل وقعت الثورة على كتفيه وحده «بينما كان الضباط الآخرون يغطون في النوم إلى جانب زوجاتهم»!



الزعيم الركن ناجي طالب

العقيد وصفي طاهر

الزعيم محي الدين عبد الحميد

الزعيم عبد الوهاب الأمين

لم يشرك قاسم معه في وزارته الأولى من أعضاء «اللجنة المركزية العقيد وصفي طاهر مرافقاً له، وبعد عارف والزعيم ناجي طالب، واتخذ الضباط الأحرار» سوى العقيد ناجي طالب الذي قدّم استقالته وعيّن الزعيم عبد الوهاب الأمين خلفاً له، ثم عين الزعيم محي الدين عبد الحميد وزيراً للتربية إثر استقالة الدكتور جابر العمر.

ومن أجل ذلك استأثر قاسم وعارف بالسلطة بعد الانقلاب. وكان أكثر أعضاء اللجنة يرشحون الزعيم ناجي طالب لرئاسة الوزارة، ولكن العقيد عاف تولى إقناعهم بقبول قاسم رئيساً. وحتى أثناء الزحف على بغداد، أبدى أحد زملاء عارف ـ يقال أنه العقيد عبد اللطيف الدراجي ـ ملاحظة قاسية في صدد قاسم، وطلب إلى عارف إعادة النظر في الاتفاق على تشكيلة الوزارة، فقال له عارف: «لا تخف من قاسم... إنه في قبضة يدي، يدور معي كما أريد!».

وفعلاً، كان عارف ورفاقه يعتبرون قاسم «مخبلاً» «مجنوناً»، وينعتونه بالجمود. وكان عارف طامعاً بالحكم، ويظن أن قاسم سيكون خير ستار له. وبعد الثورة طلب الضباط تأليف «مجلس ثورة» منهم، يشرف على الحكم، فرفض قاسم الاقتراح لأنه كان يضمر الاستئثار بالسلطة، ويشك في اتصالات بعض الضباط بالخارج. ورفضه عارف هو الآخر، لأنه كان يخشى أن يحد «مجلس الثورة» من سلطانه، مفضلاً الحكم «من وراء» قاسم. وكان عارف يومئذ أقوى الجميع نفوذاً، بوصفه منفذ الانقلاب، فلم يستطع الضباط الاعتراض، وكان ما كان.

وأجمع الضباط على أن الطريقة الوحيدة لإجراء الانقلاب، هي أن تسنح فرصة ما لإحدى القطعات العسكرية التابعة لهم بالمرور في بغداد، فتغتنم الفرصة وتضرب ضربتها وتحتل العاصمة، أو تأتي مناسبة يسهل فيها قتل الملك والأمير ونوري في ضربة واحدة، يعقبها بروز الحركة الثورية.

واتفق الضباط على أن يضرب الضربة أي ضابط منهم تعرض له المناسبة، دون إضاعة الوقت في استشارة رفاقه أو إنذارهم. وفي الانتظار، ظل الضباط على اتصال فيما بينهم يتبادلون المعلومات ويعدون العدة.

وسنحت فرصة لقتل الملك والأمير ونوري، لما أقيم احتفال في معسكر الرشيد في بغداد، في شهر مارس 1958، لمناسبة مرور 25 سنة على تأسيس كلية الأركان. **وكان مكلفاً بهذه المهمة العقيد الركن عبدالغني الراوي، وبعض رفاقه. ولكن نوري تغيب عن الحفلة، فتراجع الضباط عن تنفيذ الخطة.**

ذلك أن الضباط المتآمرين كانوا مقتنعين أن كل حركة انقلابية، ستمنى بالفشل، إذا لم يتيسر لها منذ اللحظة الأولى وضع يدها على الملك والأمير ونوري فوراً. فإذا أفلت أحدهم، فإنه سيستطيع تأليب قوات أخرى من الجيش على المتآمرين، أو يستقدم معونة خارجية.

وأكثر ما كانوا يخشون هو استدعاء الجيش الأردني للتدخل في العراق، إذا ما بقي أحد الثلاثة حياً. وقد يقرر الملك حسين عندئذ الزحف باسم تخليص الملك أو سواه. وقد تتدخل دول حلف بغداد أو سواها لنجدته. لذلك كان الضباط يعتبرون تصفية الثلاثة الشرط الرئيسي للمباشرة بحركتهم.

وفعلاً، صرح عبد السلام عارف في أحاديثه الخاصة أثناء وجوده في الخارج كسفير للعراق لفترة قصيرة في المانيا، أن قادة الثورة لم يطمئنوا إلى نجاح حركتهم في 14 تموز إلا بعد مقتل نوري، ولم ترد عليهم برقيات التأييد جدياً إلا عندما تأكد مقتله، إذ كان الجميع يتحسبون لاختفائه ويتوقعون الإنقضاض عليهم، ما دام على قيد الحياة!

وكان الإجماع قائماً بين المتآمرين، منذ البداية على ضرورة قتل الأمير عبد الإله والسيد نوري السعيد. ولم يرتفع صوت واحد يعترض على ذلك.

أما الملك فيصل، فد تردد بعض الضباط في قتله. وكان بينهم من يقول إن بقاء الملك أفضل، وأنه قد يكون عامل استقرار بعد زوال



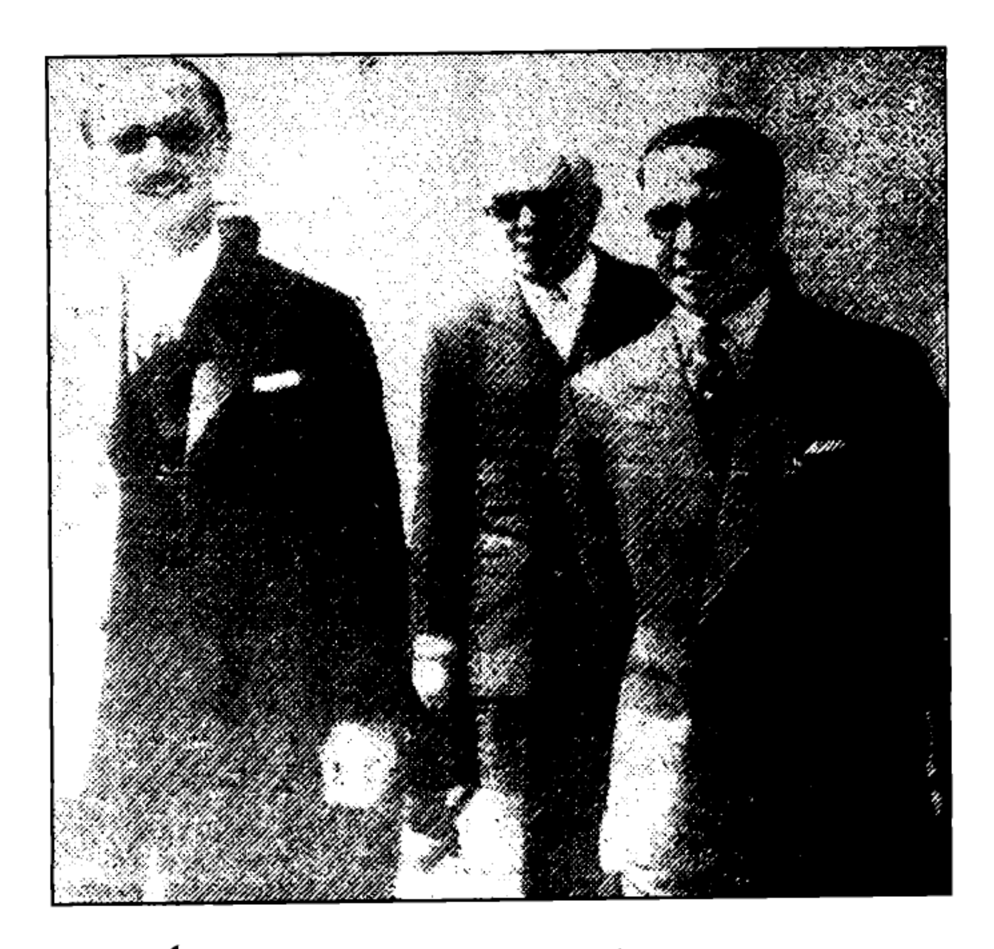
الزعيم الركن عبد الكريم قاسم قائد
ثورة 14 تموز 1958 في العراق



العقيد الركن عبد السلام محمد عارف
من قادة ثورة 14 تموز 1958 الذي
اذاع بنفسه بيان الثورة في الاذاعة

عبد الإله ونوري السعيد، ويتعاون مع العهد الجديد على إدارة البلاد. ولكن ضباطاً آخرين قالوا إن بقاءه ستبقي عقبة في الطريق التي اختاروها للوحدة العربية، وأصروا على قتله، هو الآخر.

وثمة عامل آخر فعل فعله فيهم. لقد كانوا يخشون، إذا بقي الملك حياً، أن يستعين بقوات أخرى عليهم، وأن ينتقم منهم عاجلاً أو آجلاً. وقد يكون بقاؤه سبباً في تمسك كبار القادة بولائهم للعرش، فيظل «الضباط الأحرار» عندئذ أقلية يسهل سحقها.



الشرط الذي وضعه «الضباط الأحرار» لتنفيذ الانقلاب هو وجود الثلاثة معاً في مكان واحد: الملك فيصل والأمير عبد الإله، ونوري السعيد.

وهكذا، يوم سنحت الفرصة لتنفيذ الانقلاب، بواسطة اللواء العشرين، كان الضباط قد توصلوا بالإجماع إلى اتفاق واحد: يجب قتل الملك فيصل فوراً، مع الآخرين.

ويقول بعض الضباط، من أركان اللجنة المركزية إن قتل الملك فيصل لم يكن مقرراً، كما يقول هذا القول كثيرون من صغار الضباط الذين ناصروا الحركة، ويؤكدون أن المعلومات التي أعطيت لهم من قبل «لجنة الضباط الأحرار»، كانت تجزم باحتجاز الملك، مع قتل عبد الإله ونوري. وهم يلقون تبعة هذا العمل على العقيد عبد السلام عارف شخصياً، كما أن عبد الكريم قاسم تنصل من قتل الملك أكثر من مرة في أحاديثه الخاصة، وأنحى باللائمة على عبد السلام عارف.

غير أن المعلومات الوثيقة، تؤكد أن تصريحات هؤلاء الضباط في أحاديثهم الآن، تختلف عما كان يدور في بينهم في حلقاتهم السرية، فهم قد أضمروا منذ ذلك الحين قرار قتل الملك، ولكنهم فضلوا كتمانه خشية أن يستنكره بعض الضباط، وأن ينسحبوا من الحركة.

وهكذا، لما حان ميعاد التنفيذ، كانت التعليمات المعطاة للضباط ذوي العلاقة تقول بقتل الملك. وقد أكد هذه الحقيقة الرئيس عبد الجواد حميد، الذي كان مكلفاً باحتلال القصر الملكي يوم الثورة. فقد أدلى بعد أيام من الثورة بتصريح إلى الهربينو فوندسهامر، موفد مجلة «كويك» الألمانية إلى بغداد، قال فيه: «الأمر المعطى لي كان يقضي بقتل الملك». وقد نشرت المجلة هذا التصريح في عددها الصادر بتاريخ 27 تموز 1958.

وعلى كل حال، فإنه منذ المجزرة، لم يرتفع صوت واحد من أحد الضباط المسؤولين عنها أو عن الحكم، يعرب عن أسفه لمقتل الملك أو النساء والأطفال.

الفصل الرابع

الزحف على بغداد

في أوائل تموز أبلغت القيادة العراقية أوامرها للواء العشرين المرابط في «جلولاء»، بالاستعداد للسفر فوراً إلى الأردن، وكان يتولى قيادته آمر اللواء الزعيم الركن أحمد حقي. والسفر إلى الأردن يجري عادة عن طريق بغداد، وذلك لاجتياز نهر دجلة فوق جسر الخر، الواقع على مقربة من قصر الرحاب، كما أوضحنا في الفصل السابق.

وانتشر النبأ بين «الضباط الأحرار»، فقرروا عندئذ أن يغتنموا الفرصة لتنفيذ الانقلاب، ولا سيما وأن الثلاثة أي الملك والأمير ونوري كانوا موجودين في بغداد، كما أن المرور على جسر الخر، يعطي المتآمرين الفرصة للوصول رأساً إلى قصر الرحاب، دون إثارة أية شبهة، أو تعريض القوات المتحركة، لأية حركة التفافية.

كان الملك، كما ذكرنا في فصل سابق، يتأهب للسفر في 14 تموز إلى لندن. وكان الأمير عبد الإله قد عاد في 10 تموز من استنبول، ليحل محل الملك في إدارة شؤون الدولة أثناء غيابه. وكان نوري قد رجع إلى بغداد من رحلته إلى لندن وإستنبول، للسفر بمعية الملك.

وفي ليلة 11 ـ 12 تموز، وضع عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف خطة العمل، على أن يتولى عبد السلام عارف ضرب الضربة الأولىٰ في

بغداد حال مرور لوائه فيها. ثم اتصلا بالضباط من الخلية العاملة معهما في بغداد، وإنذارهم أن يكونوا على استعداد للتنفيذ في 14 تموز. أما بقية «الضباط الأحرار» في الخلايا الأخرى، فلم يرسل إليهم أي تبليغ.

وفي الساعة التاسعة من ليلة 13 ـ 14 تموز، تحرك اللواء قاصداً إلى بغداد، وكان يتألف من ثلاثة أفواج، الأول بقيادة العقيد عبد اللطيف جاسم الدراجي، والثاني بقيادة العقيد الركن ياسين محمد رؤوف، والثالث بقيادة العقيد عبد السلام عارف.

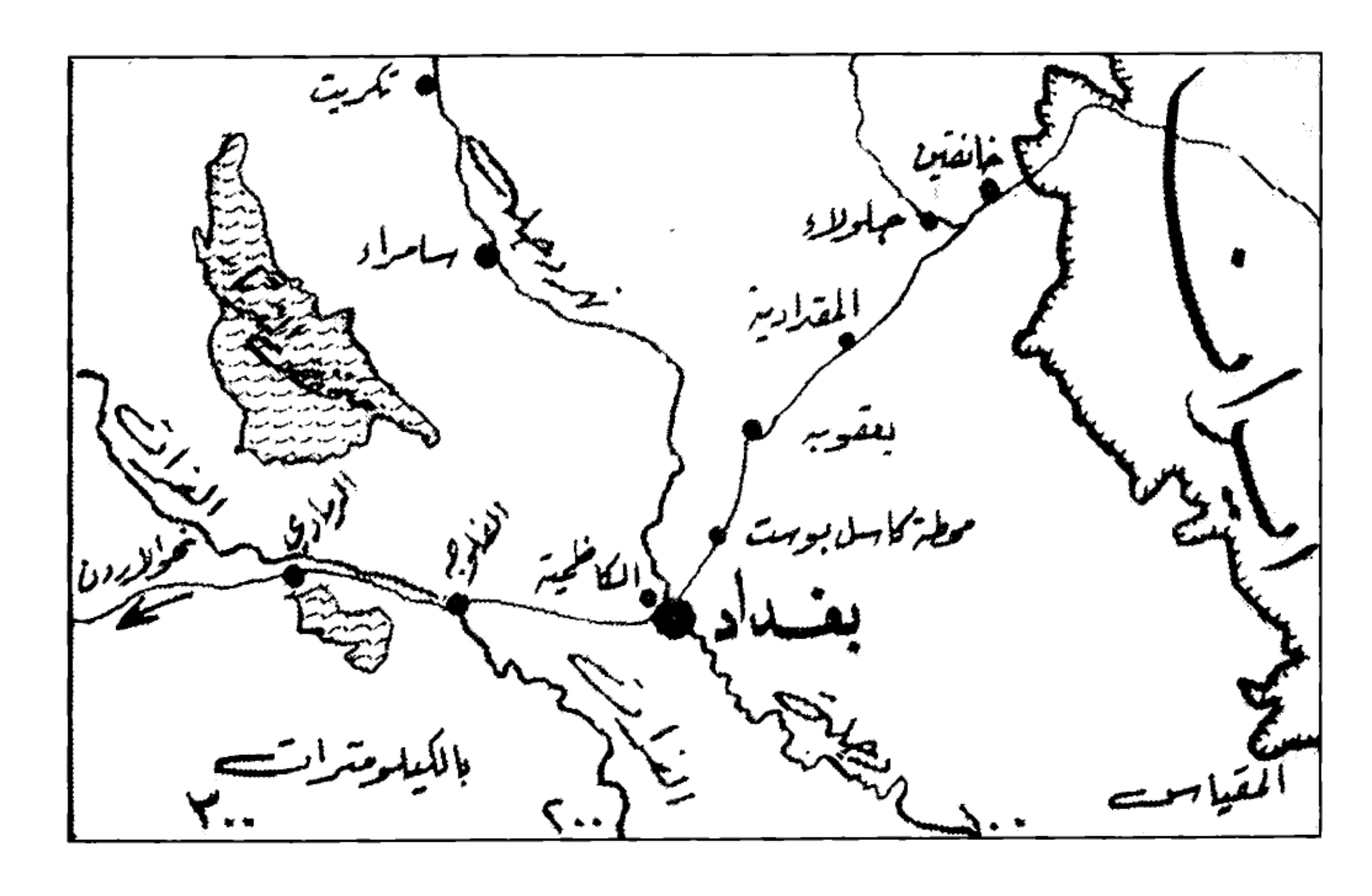
وهنا يجب أن نذكر أن الأفواج الثلاثة، لم تكن مجهزة بالعتاد، إذ جرت العادة ألا يوزع العتاد على القوات العسكرية خارج مهماتها. غير أن عبد السلام عارف كان قد تدبر عتاداً كافياً جهز به فوجه في تلك الليلة، بينما ظل الفوجان الآخران بلا عتاد!

أما كيف جمع عبد السلام هذا العتاد، فيعود فضله إلى الزعيم ناجي طالب عند تعيينه مديراً للتدريب العسكري في وزارة الدفاع سنة 1957. فقد أراد السيد ناجي طالب تدبر عتاد كاف للمتآمرين، فتقدم باقتراح إلى قيادة الجيش بضرورة إجراء التدريب ليلاً، كما يجري نهاراً. ولاحق اقتراحه هذا حتى نال موافقة رئيس أركان الجيش. وبهذه الوسيلة تمكن «الضباط الأحرار» من سرقة بعض الأعتدة المستعملة في المناورات الليلية، وكان عبد السلام عارف في جملة الذين خزنوا كمية من هذا العتاد، فوزعها على لوائه ليلة الهجوم.

ومما يجدر ذكره أن كل فرقة في الجيش العراقي مؤلفة من ثلاثة ألوية، وكل لواء من ثلاثة أفواج، وكل فوج من ثلاث سرايا.

ويناهز عدد كل لواء ثلاثة آلاف جندي، بحيث يتراوح عدد كل فوج بين 800 ـ 1000 جندي.




ايران
تكريت
سامراء
نهر دجلة
خانقين
جلولاء
المقدادية
بعقوبة
محطة كاسل بوست
بغداد
الكاظمية
الفلوجة
الرمادي
نحو الاردن
الفرات
دجلة
المقياس
بالكيلومترات
٢٠٠

قلنا إن اللواء العشرين تحرك عند الساعة التاسعة من «جلولاء» التي تبعد مئة كيلومتر عن بغداد شمالاً غرباً، يتقدمه قائده الزعيم الركن أحمد حقي، وهو ليس من المتآمرين، بل كان العقيد عبد السلام عارف، قائد الفوج الثالث في هذا اللواء، رأس المتآمرين، والمكلف بالاتفاق مع قاسم، على ضرب الضربة تلك الليلة. أما قاسم فقد ظل مع لوائه في «المقدادية» يترقب النتيجة.

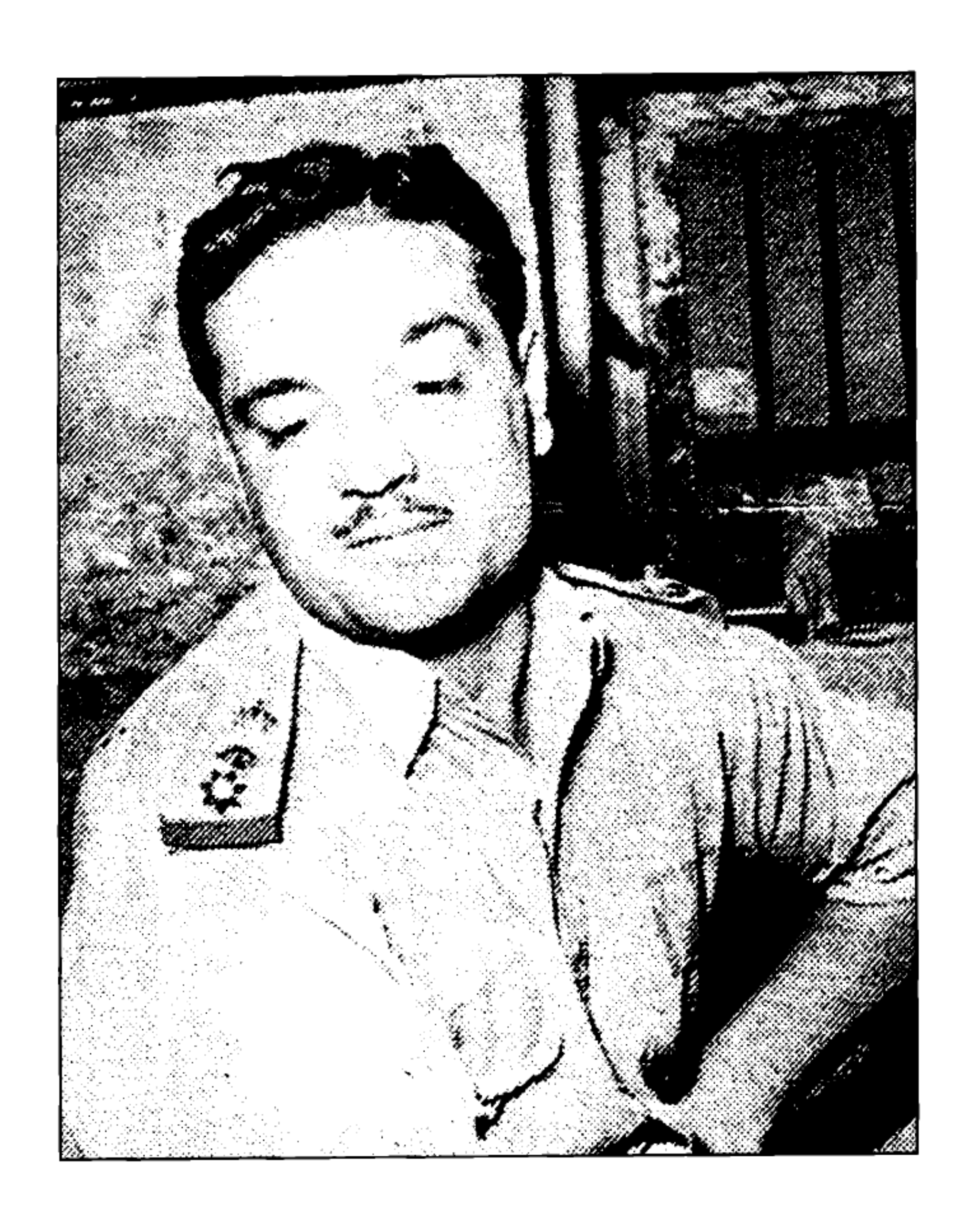
وتوقفت قطعات اللواء في محطة «كاسل بوست» التي تبعد 25 كيلومتراً عن بغداد. وقد اختار المتآمرون هذه النقطة لكي ينجزوا تدابير الهجوم، ويوزعوا التعليمات على ضباط الصف، الذين كانوا حتى تلك الساعة، يظنون أنهم يستهدفون الأردن لا بغداد. وهذه المحطة هي مركز ثكنات للجيش البريطاني في عهد الاحتلال.

وهنا تخلص الضباط المتآمرون من أمر اللواء الزعيم الركن أحمد حقي، إذ ضللوه وأرسلوه يستبقهم في الفلوجة، بينما اعتقلوا العقيد ياسين محمد رؤوف رئيس الفوج الثاني فيه لأنه رفض الانضمام للحركة.

وعلى الأثر نصب عبد السلام عارف نفسه آمراً للواء، وأخذ يوزع المهام على الأفواج الثلاثة، فأعطى سرايا فوجه، أي الفوج الثالث مهام احتلال العاصمة. أما الفوجان الآخران فكانت مهمتهما الدخول فقط، دون القيام بأي عمل ما، لأنهما كانا مجردين من العتاد.

وقد اختار عبد السلام عارف من فوجه سريتين، قامتا بدورين رئيسيين، يتناولهما موضوع هذا البحث:

1 ـ عهد عبد السلام عارف إلى الرئيس الأول بهجة سعيد باحتلال بيت نوري السعيد، يرافقه العقيد وصفي طاهر (الذي وافى اللواء العشرين إلى «كاسل بوست» آتياً من بغداد عند الساعة الثالثة).



العقيد ياسين محمد رؤوف، رئيس الفوج الثاني في اللواء العشرين، الذي اعتقله زميله عبد السلام عارف رئيس الفوج الثالث في اللواء ذاته، لأنه رفض الاشتراك في الانقلاب. وتراه أعلاه في السجن العسكري إثر الانقلاب.

2 ـ عهد عارف إلى الرئيس عبد الجواد حميد باحتلال القصر الملكي، ووضع بتصرفه سرية مؤلفة من مئة جندي. (قتل عبد الجواد حميد فيما بعد أثناء حوادث الموصل).

وأراد عارف أن يرسل سرية ثالثة تطوق بيت الدكتور محمد فاضل الجمالي، ولكن قلة عدد الجنود جعلته يعدل عن الفكرة.

❀ ❀ ❀

وعند الساعة الرابعة صباحاً، بدأت السرايا تتحرك في اتجاه بغداد.

وفي أقل من نصف ساعة، كانت سرايا الفوج الثالث من اللواء العشرين قد دخلت العاصمة النائمة، وبدأت تنفذ الخطط المرسومة.

. . . أي أن ألف جندي، بل أقل من ألف جندي، دخلوا بغداد ليقوموا بالانقلاب فيما كانت العاصمة والدولة وقواتها كلها، تغط في نومها!

الفصل الخامس

الطلقات الأولى

أصبح الصباح على بغداد، في ذلك اليوم، الاثنين في 14 تموز، والسماء ما تزال تغشاها غلالة بيضاء، من أثر الحر الشديد.

ونهض الخدم في قصر الرحاب باكراً جداً، استعداداً لسفر الملك بعد قليل. وكانت الملكة نفيسة ـ وهي تركية الأصل ـ قد قضت الليل كله أرقة، فأيقظت مع خيوط الفجر الأولى ابنتها الأميرة عابدية، ثم انضمت إليها الأميرة هيام.

وعند الساعة الخامسة والدقيقة العاشرة تماماً، سمع من في القصر دوي طلقات نارية ضعيفة، آتية من بعيد. فخرج رجال الحرس في الحديقة والمرائب نحو الباب الرئيسي يبحثون عن مصدرها، فلم يروا شيئاً. وظن الجميع أنها آتية من جهة معسكر الوشاش، أحد مراكز تدريب الجيش، الذي يبعد بضع مئات من الأمتار فقط عن القصر. والحقيقة أنها كانت آتية من جهة بيت السيد نوري السعيد الذي بدأ الهجوم عليه.

وما لبث أزيز الرصاص أن تجدد واشتد، وكانت الساعة قد بلغت الخامسة والثلث، فخرج الملك فيصل من غرفته وقد ارتدى ملابسه، فوجد الملكة نفيسة والأميرة عابدية والأميرة هيام واقفات ـ مع خادمتين

ـ في البهو، على مقربة من الشرفة، يتطلعن خارجاً. فصاح بحارس الباب الداخلي للقصر: ايش في؟

وكان قد انضم إلى الحارس ضابط وجنديان، فأجابوا أن حرس المدخل الرئيسي لحديقة القصر، بحثوا عن مصدر الطلقات، ولكنهم لم يهتدوا إليه بعد. وهنا خرج الأمير عبد الإله من غرفته، وهو ما يزال يلبس البيجاما، وقال للحرس: روحوا شوفوا!

وفي تلك اللحظة بينما كان الجميع واقفين حيال الشرفة، لاحظوا على طريق الشام التي تمر أمام القصر، جندياً كامل السلاح ينحدر من مرتفع الطريق قفزاً، ويجري نحو المدخل الرئيسي للحديقة، ويعانق أحد الحراس فيما كانت جماعات أخرى من الجنود تتحرك على الطريق.

وما لبث أن جاء رئيس العرفاء من المدخل الرئيسي إلى مدخل القصر، وقال للأمير عبد الإله:

ـ هذا جندي من الذين يسيرون الآن على الطريق وقد عرف أحد الحراس نسيباً له، فجاء يسلم عليه ويطلب شربة ماء!

فقال الأمير: اعطه ماء، واسأله ماذا يريدون!

وعاد رئيس العرفاء بعد دقيقتين يقول:

ـ سألناه ما يريدون فأجاب إنه لا يعرف، وأنه تلقى أولاً مع أفراد سريته أمراً بتطويق القصر والمرابطة أمامه، ثم تلقوا الآن أمراً بالاقتراب من القصر وإطلاق النار عليه!

وأمرهم الأمير بترك الجندي يذهب، فعاد نحو الطريق واختفى على الجهة المقابلة منها. وارتد الأمير نحو الهاتف، وجرت محاولات للاتصال بالأركان، ثم برئاسة الوزراء ولكن دون جواب.

وهنا أخذ الرصاص ينهال من الخارج في اتجاه القصر على غير

هدى، فيضيع أكثره طائشاً في الحديقة. وكان بعض رجال الحرس يردون بطلقات متقاطعة.

وفي البهو، وقف الملك والأمير يتبادلان الرأي وحولهما الملكة نفيسة والأميرة عابدية والأميرة هيام، ووقف على مقربة منهم خدم القصر المقربون.

وقال الأمير: أعتقد هذه حركة من الجيش ضدنا.. أنا كنت أنتظرها. : .

ولاحظ الأمير أن الخدم يصغون، فأخذ يتكلم باللغة التركية، وجرى الحديث في الدقائق التالية بالتركية دون سواها. ولوحظت الملكة نفيسة تشد بكتف نجلها عبد الإله، والأميرة عابدية تطوق فيصلاً. وما لبث الأمير عبد الإله أن ترك الحلقة، واتجه صوب غرفته وهو يقول بالعربية: «إذا كانوا ما يريدونا احنا ما نبقى...».

وخرج الأمير من غرفته، وهو ما يزال بالبيجاما، يحمل ورقة بيضاء وناولها للملك، ثم نزل الاثنان على السلم من الطابق الأعلى نحو الطابق الأرضي.

وفي أسفل السلم، وجدا الرئيس ثابت، مرافق الملك، في انتظارهما فسأله الملك:

ـ ماذا تعرف؟

فأجاب: سيدي... شاهدت بعض اللوريات (سيارات الشحن) واقفة في آخر الطريق، وحولها بعض الجنود يطلقون النار. وأقدر عددهم بخمسين جندياً. واعتقد أننا قادرون بكل سهولة على سحقهم...



هذه الصورة تعطي فكرة عن القسم الأمامي من قصر الرحاب. فترى الجندي واقفاً أمام الباب الخارجي للقصر، وهو يدفع بقدمه أحد درفته. ثم يبدو بعد ذلك حوض النافورة الذي وقعت المجزرة على مقربة منه. ثم المدخل الداخلي للقصر، وهو مؤلف من القناطر الست الظاهرة في الصورة.

فقال الأمير: ما نريد سحق أحد.. إذا كانوا ما يريدونا نحن حاضرين نروح...

فاعترض الرئيس ثابت، وأبدى شكوكه في تقدير الأمير للموقف وطلب إصدار الأمر إلى لواء الحرس الملكي بالتأهب واحتلال مواقعه، فرفض عبد الإله. ولما ألح ثابت هتف به الأمير:

ـ اسكت! اسكت! هم ما راح يقتلونا... ونحنا حاضرين نروح ونترك لهم كل شيء.... أما إذا جرت مقاومة فقد يحدث الأسوأ... الأفضل إذن ألا نقاوم، وألا نعطيهم حجة!

ودار البحث أكثر من مرة في الهرب من القصر، ما دامت الطرق حوله ما تزال مفتوحة من جهتين. وتردد اقتراح بتهريب الملك على الأقل، ولكن الأمير كان يردد:

ـ ماكو لزوم... ما راح يقتلونا... واحنا نروح ونتركهم...

ودخل الملك والأمير إلى الصالون الكبير في الطابق الداخلي، وهو المكان الذي اعتاد الأمير أن يستقبل فيه زائريه، وهو مسرح السياسة العراقية منذ سنوات.

وجلس الملك على المقعد العريض في صدر الصالون، بينما ظل الأمير عبد الإله يتمشى فيه، وهو يدخن باستمرار...

لا شك أن الأمير قد فكر في تلك اللحظة بحوادث كثيرة، وبأحاديث طويلة، جرت معه في هذا الصالون. ولعله تذكر يوماً فتح فيه صدره لأحد زائريه، وقال حرفياً:

ـ أنا أعرف أنه إذا بقيت الأمور على هذه الحال، فسيدخلون علينا إلى هنا، ويقتلوننا هاهنا!

فقال له محدثه: إذن، ماذا تنتظرون لكي تعدلوا هذه الأمور؟

فأجاب بحيرته المأثورة: إن أيدينا مغلولة لقلة الرجال وزحمة الحوادث...

فقال له: ولماذا لا تفسحون المجال أمام الجيل الجديد؟ لماذا لا تأتون بوجوه جديدة؟ لماذا لا تستعينون بالشباب؟

فأجاب: هذا صحيح... ولكن شأنه يعود إلى فيصل يوم يكبر. عليه هو أن يتدبر شباباً صالحين يعملون معه. أما أنا فلا أعرف غير هؤلاء الذين نشأت معهم، والشباب يكرهونني...

كان ذلك في سنة 1957. ولعل الأمير تذكر في تلك اللحظة، وهو يسمع الرصاص يدوي خارج القصر، كيف أشار بإصبعه إلى الأرض تكراراً، وهو يقول: «... ويقتلوننا هاهنا!».

ومن العجيب أن الرجل الذي توقع سنة 1957 أن يقتحم خصومه القصر «لكي يقتلوهم فيه»، لم يخطر له وهو يرى نبوءته تتحقق أمام عينيه، إن المهاجمين آتون لقتلهم، بل استقرت عنده القناعة منذ سمع الرصاصة الأولى، إن الثوار سيسمحون للعائلة المالكة بمغادرة العراق، كما فعل الثوار المصريون مع فاروق، وظن أن المقاومة تستفز المهاجمين، ففضل المسالمة.

ولماذا اختار عبد الإله الرحيل على البقاء؟

إن الجواب على هذا السؤال يجرنا إلى بحث طويل خارج عن نطاق الموضوع. ولكن الذين يعرفون الأمير جيداً، وكانوا على اتصال به في الفترة الأخيرة من حياته كانوا يعرفون أنه مصاب بسويداء نفسية دائمة وأنه قطع الأمل من استقرار الأمور في العراق، ولم يكن يستبعد وقوع انقلاب يطيح بالعرش. ويروي كثيرون عن لسانه أنه كان يردد منذ أشهر ما قاله صباح الثورة: «إذا كانوا ما يريدونا، احنا مستعدين نروح». ويدعي أحدهم أنه سمع الأمير يقول هذه العبارة أمام رهط من الضباط،

أثناء بحث في الوضع العام وموقف الجيش.

وهكذا، لما سمع الأمير الطلقة الأولى ذلك الصباح، عقد العزم على الذهاب بدلاً من الثبات والمقاومة. أما الملك فيصل، فلم يكن له أي رأي، بوجود خاله إلى جانبه.

وفيما كان عبد الإله يتوقع أن يفسح الثوار الطريق للأسرة المالكة كي تذهب إلى المطار وتطير إلى الخارج، كان القدر يحقق النبوءة التي طلع بها الأمير قبل عام..

❀ ❀ ❀

وسط هذا التجهم، وكانت الساعة قد قاربت السادسة وإطلاق النار في اشتداد، شوهد العقيد طه البامرني، آمر فوج الحرس الملكي، يدخل من المدخل الخارجي بسيارة مصفحة، فيجتاز الحديقة ويتوقف بها أمام الباب الداخلي ويهبط، وكان آتياً من مقره في قصر الزهور.

وما أن رآه الخفراء الواقفون على الباب حتى صاحوا به: أين الجند؟ أين الحرس؟

فأجاب: أريد أشوف الملك والأمير أولاً...

ودخل البامرني عليهما وهما في الصالون الكبير، ومعهما مرافقان، وقال بعد مقدمة:

ـ لما شاهدنا الحركة، أرسلنا أحد ضباط الحرس نحو الجنود، فأخذوه إلى رئيسهم، وهو ضابط صغير اسمه عبد الجواد حميد، فقال هذا إن الثورة قد قامت، وإنه مطلوب من العائلة المالكة أن تسلم نفسها له... وقد علمنا يا سيدي أنهم شكلوا جمهورية من عندهم، ولكن قوتهم ضعيفة، ونحن بانتظار أمركم لنقاتلهم!



صدر الصالون الكبير في الطابق الأرضي من قصر الرحاب. وقد قضى فيه الملك والأمير الساعة الأخيرة من حياتهما. لاحظ صورة فيصل الأول على الجدار.

لقد كان لواء الحرس الملكي أقوى لواء في الجيش العراقي، يعد أكثر من ثلاثة آلاف جندي، مدربين أحسن تدريب، ومجهزين بأحدث وأقوى الأسلحة. وكان اللواء يرابط في ثكناته في قصر الزهور. ولا يشك أحد اليوم في أنه لو تدخل الحرس ضد الثوار لتبدل مجرى الحوادث.

وظل البامرني واقفاً ينتظر الأوامر، بينما كان عبد الإله يتهامس والملك، ثم التفت إلى البامرني وقال:

ـ ماكو لزوم للقتال... ما نريد الجنود يقتلون بعضهم البعض من أجلنا... وما نريد يقال إننا سببنا حرباً أهلية بين العراقيين... إذا ما يريدونا نذهب...

فقال البامرني: سيدي... نحن حاضرون، وقادرون على كل شيء...

فأجاب الأمير: كلا روح قل لهم إننا لا نريد نقاتل، ونريد نذهب...

وخرج البامرني ماشياً، وترك مصفحته مكانها، وعند وصوله إلى الباب الخارجي؛ رأى بعض الحراس قد صعدوا فوق المرائب، وأخذوا يطلقون النار من رشاش على الجنود المهاجمين، فأمرهم بالتوقف، فأجابوا:

ـ ما نقدر نصبر أكثر!

فقال: الملك يريد ذلك، وقد أمرني ألا أقاوم أبداً...

❁ ❁ ❁

وما أن خرج البامرني حتى انزوى الأمير والملك لحظات في زاوية من الصالون، ثم استدعى الأمير الرئيس ثابت مرافق الملك، وقال له:



بعض جنود السرية الثالثة التابعة للواء العشرين، أمام الباب الخارجي لقصر الرحاب.

ـ اذهب إلى الجماعة وقل لهم إننا مستعدون للمفاوضة، ولا نريد أن نقاوم. قل لهم إننا مستعدون لمغادرة البلاد فوراً إذا كانوا ما يريدونا . . .

وذهب الرئيس ثابت مع ضابط آخر، وشوهدا يجتازان المدخل الخارجي ويتجهان نحو المهاجمين على طريق الشام. ولكنهما لم يعودا أبداً إلى القصر. وقد اتضح فيما بعد أنهما وصلا إلى مركز الرئيس عبد الجواد حميد، وإن الرئيس ثابت أبلغه الرسالة وطلب إليه الكف عن إطلاق النار، فأجابه عبد الجواد أنه لن يوقف إطلاق النار حتى تنزل الأسرة المالكة كلها. فقال ثابت إن النازلين قد يصابون بالرصاص إذا ظل الرمي مستمراً، فأجابه جواد ما معناه: هذا هو المقصود بالذات.

دار عندئذ جدال عنيف بين الرئيس ثابت والرئيس عبد الجواد في موضوع سلامة الملك فيصل شخصياً والنساء، فلما احتدم الجدال، أطلق أحد الحضور النار على الرئيس ثابت فقتله، واعتقلوا الضابط الذي كان يرافقه.

وفي رواية أخرى أن الأمير عبد الإله، طلب الاتصال هاتفياً بالعقيد عبد السلام عارف في محطة الإذاعة، ولكن عارف رفض أن يخاطبه.

۞ ۞ ۞

لنعد إلى القصر. ما أن خرج الرئيس ثابت ورفيقه، حتى صعد الملك والأمير إلى الطابق الأعلى لتطمين الأميرات. ثم نزلا بعد دقائق. وفيما هما ينزلان ووراءهما بعض الخدم، سمعا الراديو يذيع أسماء أعضاء الوزارة الثورية.



صورة مأخوذة للملك فيصل قبل مصرعه بمدة وجيزة. وقد ولد في 2 أيار 1935، فيكون قد مات عن 23 عاماً وشهرين و 12 يوماً. ولي العرش يوم 4 نيسان 1939 إثر مقتل والده الملك غازي الأول في حادث. وتسلم صلاحياته في 2 أيار 1953.

وكان العقيد عبد السلام عارف قد احتل الإذاعة وتولى بنفسه البث منها، حتى إذا ما وصل إلى اسم «الزعيم الركن ناجي طالب»، توقف الملك لحظة على درج السلم، وتطلع صوب خاله وهو يرفع حاجبيه، وقال:

ـ حتى ناجي طالب؟ يابا... يابا...

وكان ناجي طالب قد ولى مدة طويلة منصب مرافق الملك الخاص.

ودخل الملك والأمير إلى الصالون الكبير ثانية، فجلس الأمير على أحد المقاعد ثم عاد الملك وصعد إلى الطابق الأعلى من جديد.

❁ ❁ ❁

كانت الساعة قد قاربت السادسة والنصف. والأميرات ما زلن في البهو. الملكة نفيسة تقرأ القرآن، والأميرة عابدية تبكي. قبل نصف ساعة، أي عند الساعة السادسة تماماً، اتصلت بها بالهاتف زوجة أحد رؤوساء الوزارة السابقين تسألها عما يجري، فأجابتها الأميرة عابدية:

ـ لم يجرِ شي بعد... ونحن لا نريد شيئاً منهم سوى سلامة الولد (أي الملك فيصل).

وبعد نصف ساعة، دق الهاتف ثانية. قد ظلت خطوط الهاتف تعمل في ضفة الكرخ، مع أنهم عطلوها في ضفة الرصافة. ولعلهم تركوها عمداً، لكي يظلوا على اتصال بالعقيد عبد السلام عارف المرابط في دار الإذاعة.

هذه المرة جاءت المخاطبة من زوجة موظف كبير في القصر، وهي صديقة حميمة للأميرة عابدية، ففقدت الأميرة انضباطها، وراحت تبكي، وتبث صديقتها همومها. قالت في جملة ما قالت:



صورة حديثة للأمير عبد الإله. وهو نجل الملك علي بن الحسين. انتقل إلى العراق مع والده سنة 1925. أصبح في 4 نيسان 1939 وصياً على عرش فيصل الثاني وولياً للعهد. انتهت وصايته يوم 2 أيار 1953، ولكنه بقي ولياً للعهد. وكان عمره عند مصرعه 45 سنة.

ـ ما نريد منهم سوى سلامة الملك... مسكين... في هذا السن... حرام عليهم... بعده ما شاف شيء من الدنيا... ما نريد شيء سوى نروح... ليأخذوا ما يريدون به والله يوفقهم بأمورهم... وإذا أرادوا فليقتلونا كلنا... بس يتركوا الولد يروح...

وآخر ما قالته: هذا القرآن بيدي، وبودي أنزل عليهم وأحكيهم...

ورن الهاتف مرة أخرى. هذه المرة هي الأميرة بديعة، خالة الملك وشقيقة الأمير عبد الإله. إنها تستفسر بقلق عما يجري. خاطبتها أختها الأميرة عابدية أولاً، ثم استلم الملك سماعة الهاتف، فطمأنها؛ ثم تكلم مع زوجها الشريف حسين، وقال له:

ـ ماكو شيء... تريد ادز لكم حرس؟

فأجاب: كلا، ما في لزوم!

وكانت الأميرة بديعة ـ وهي أصغر سناً من الأميرة عابدية ـ تسكن وزوجها وأولادهما في دارة خاصة قريبة من قصر الرحاب. وكان الثوار في شغل عنهما بالقصر، فغادرا بيتهما إلى مكان آخر، بعد أن أدركهما جندي أمين، نقل إليهما تفاصيل المأساة كما شاهدها. وقد بقيا مختفيين في بغداد إلى أن هدأت العاصفة، فغادرا العراق. وهما يقيمان اليوم خارجه.

وعاد الملك ونزل إلى الطابق الأرضي، فوجد في البهو بعض ضباط الجيش الذين يعرفهم، فسألهم كيف وصلوا، فأجابوا أنهم نزعوا بزاتهم العسكرية؛ ودخلوا القصر من جهة المرائب، حيث لا يوجد أحد من الثوار.

ودخل الملك إلى الصالون، حيث كان الأمير عبد الإله ما يزال جالساً بالبيجاما، وهو ينقر بأصابعه على الطاولة، ويقول باستمرار للحاشية:

ـ ما تخافون... هم ما راح يقتلونا... احنا نروح ونتركهم يفعلون ما يريدون...

وما أن دخل الملك، حتى قال الأمير: أنا صاعد أشوف والدتي... ثم صعد إلى الطابق الأعلى.

متى ستعودون الى بغداد؟ ارجو ان يكون موعد رجوعكم
في حوالي يوم ٦ تموز المتفق عليه رغم تأجيل سفرنا الى لندن لمدة
من الاسبوع فيما اعتقد، ورأيكم فيما هو الاصوب، ان نبقى بضعة
ايام هنا سوية بحيث يتيسر لنا الوقت الكافي للمذاكرة في كل الامور
التافهة في هذا الوقت واني اوكد لكم انها غير قليلة! اني اثناء غيابكم
اضطررت لاول مرة ان اتدخل في كل الامور حسب الامكان واني اوجهها
شخصيا حسب معلوماتي وخبرتي القاصرة وكم من مرة تمنيت ان تكونوا
معي هنا لاستشيركم وصدق القول ان الانسان يشعر بحب الذين،
الذين يتمثلون لكم بالنسبة لي، عند الغياب الطويل ويعي على
الفراغ الهائل الذي تكون من جراء غياب المحبوبين. ولكنني اكرر
ان عودتكم الى هنا متعلقة تماما برغبتكم وراحتكم وصحتكم
قبل كل شيء.

الجميع هنا بخير ويقبلون اعينكم وايديكم. وختاما
ارجو من الله تعالى ان يديم صحتكم ويطيل عمركم والسلام

ابنكم

فيصل

آخر رسالة كتبها الملك فيصل الثاني بخط يده إلى خاله الأمير عبد الإله في 2 تموز 1958 وعثر عليها في قصر الرحاب يوم 15 ـ 7 ـ 1958 أي قبل الثورة ببضعة أيام

الفصل السادس

نجدة للمهَاجمين

لنعد قليلاً إلى الوراء. كنا تركنا العقيد عبد السلام عارف وجنوده في مركز «كاسل بوست»، على بعد ثلاثين كيلومتراً من بغداد، وقد كلف سرية بقيادة الرئيس عبد الجواد حميد باحتلال القصر الملكي وقتل الأسرة المالكية.

وعند الساعة الرابعة تحركت هذه السرية، مع بقية السرايا على سيارات الشحن، فاتجهت نحو قصر الرحاب حوالي الساعة الخامسة صباحاً، واحتلت جسر الخر الصغير الواقع على الطريق بين قصر الزهور وقصر الرحاب، ووقف الرئيس عبد الجواد حميد مع ضباطه وراء إحدى السيارات. ثم كلف العريف سالم منذر أن يقود جنود السرية ويقتحم بهم القصر.

واتجه منذر وجنوده، وعددهم يقارب المئة، نحو القصر وهم يطلقون النار بشدة. وكانت الساعة قد بلغت الخامسة والنصف، ولكنهم وجدوا بعض جنود الحرس الملكي مرابطين عند المداخل، ومنعوهم من التقدم. ومنهم من أطلق النار على الذين تقدموا، فتراجع منذر وجنوده إلى الطريق، وأخذوا يطلقون النار منها نحو القصر على غير هدى، كما وصفنا في الفصل السابق.



العريف سالم منذر الذي قاد الجنود في محاولة اقتحام قصر الرحاب. وتراه أعلاه يعانق مراسل جريدة «ازفستيا» السوفياتية يوم زار القصر بعد المجزرة.



العقيد عبد السلام عارف، منفذ الانقلاب يتحدث إلى الصحفيين عن الحركة الثورية، يوم 15 تموز 1958.

بقي الموقف على حاله حتى الساعة السادسة والنصف. وعندئذ أوفد الرئيس عبد الحميد جواد رسولاً إلى العقيد عبد السلام عارف، ليبلغه أن ذخيرة جنوده، أوشكت على النفاذ؛ وليس في استطاعته الهجوم بقوته الصغيرة ما دام الحرس الملكي مرابطاً. لذلك يطلب تعليمات جديدة.



على بعد سبعمئة متر من قصر الرحاب، يقع معسكر الوشاش، وفيه مدرسة للتدريب العسكري. وكان بعض صغار الضباط في المعسكر على اتصال سابق ببعض «الضباط الأحرار»، وعلى اتفاق معهم على المساهمة في الثورة عند وقوعها.

وتلقى هؤلاء الضباط قبيل 14 تموز إنذاراً بأن الضربة ستنزل فور مرور اللواء العشرين ببغداد ليلة 14 تموز، فاستعدوا.

وعند الساعة الخامسة والنصف، سمع هؤلاء صوت الرصاص في جهة قصر الرحاب، فأوفدوا اثنين منهم للاستكشاف، وهما الرئيس عبد الستار السبع، ضابط خفر مدرسة المشاة في المعسكر تلك الليلة، والرئيس محمد علي سعيد، بينما تولى الرئيس عبد الحميد السراج جمع أنصارهم وأعدادهم للاشتراك في الحركة فعبأ زهاء 25 شخصاً من ضباط الصف.

ولا نعرف بالضبط إلى أين ذهب السبع وسعيد، والشائع أنهما اتصلا بالعقيد عبد السلام عارف وتلقيا منه الأمر بالإسراع إلى نجدة القوة التي تهاجم القصر، كما تلقى السبع تعليمات لتنفيذ «مهمة خاصة».

وفعلاً، عاد السبع وسعيد إلى معسكر الوشاش عند الساعة السادسة والنصف تقريباً، ففت السبع مشاجب الأسلحة ووزع على رفاقه الأسلحة ثم كسر السبع مستودع العتاد ووزعه عليهم، كما تناول هو مدفعاً من عيار 106 مليمترات، وركزه على سيارة جيب، وركبها مع الرئيس محمد علي سعيد؛ وصعد الباقون وراءهم في سيارة شحن من طراز «ضودج»، واتجهوا نحو قصر الرحاب القريب، وتوقفوا قرب منزل الأميرة راجحة (أخت الملك غازي وكريمة الملك فيصل الأول)، وهو مجاور لقصر الرحاب، لا يفصله عنه سوى طريق ضيق.

وتمركز السبع في سيارة الجيب، وصوب مدفعه نحو القصر، وأطلق القنبلة الأولى، مستهدفاً الطابق الأعلى منه، حيث تقطن عادة الأسرة المالكة، وكانت الساعة قد بلغت السادس والدقيقة 45. أما رفاقه الآخرون، فقد دخلوا مركز الحرس الملكي الواقع في زاوية قصر الرحاب، من جهة منزل الأميرة راجحة. وكان يتقدمهم الرئيس عبد الحميد السراج والرئيس مصطفى عبد الله والرئيس سامي مجيد والملازم الأول حبيب شبيب.

وأثناء المناوشة مع الحراس أصيب الرئيس عبد الحميد السراج برصاصة في ساقه اليمنى وأصيب الرئيس مصطفى عبد الله في كتفه الأيمن.

وفي غرفة الحرس وجدوا قائد فوج الحرس الملكي العقيد طه البامرني مع ضباطه، فجردوه من مسدسه واستلموا الأسلحة والعتاد. وقد تم ذلك كله دون أية مقاومة، وأبلغهم البامرني أن الأوامر الصادرة إليه تقول بعدم المقاومة إطلاقاً. لكن قوات الحرس الملكي كانت قد انتشرت في حديقة القصر، وأقامت المتاريس على سبيل الاستعداد، فطلب الضباط إلى البامرني أن يصدر إليها أمراً بعدم اعتراض المهاجمين.



الدوائر في الصورة تشير إلى آثار قنابل مدفع 106 مليمترات في واجهة قصر الرحاب. القنبلة الوسطى هي أول قنبلة سقطت على القصر، فأصابت برج السلم الذي يصل بين الطابقين، فيما كان الملك فيصل يصعد عليه. القنبلة إلى اليمين أصابت مكتب الملك فيصل، والأخرى إلى اليسار أصابت غرفة الأمير عبد الإله. لاحظ أمام المدخل قفص الطيور الكبير. وكان الأمير عبد الإله مولعاً بتربية الحيوانات، ولديه في حديقة القصر مجموعة كبيرة منها، قتلها الثوار كلها يوم 14 تموز!

وبعد ذلك توزع هؤلاء الضباط ورفاقهم، وعددهم كما أسلفنا زهاء 25 شخصاً، في الحديقة، حول بناية القصر؛ وراحوا يتقدمون نحوها بينما كان جنود السرية ما يزالون على طريق الشام يطلقون النار جزافاً، وقد وصلت إليهم نجدة أخرى مؤلفة من ثلاث مصفحات جاءت من معسكر «أبي غريب» الواقع على بعد 10 كيلومترات.



إحدى غرف قصر الرحاب، وقد التهمت النيران أثاثها.

تركنا الملك فيصل في صالون الطابق الأرضي من القصر. وما لبث الملك أن قال:

ـ أنا صاعد أشوف الأميرات...

وخرج الملك من الصالون إلى البهو حيث ألقى نظره على الضباط والحراس والخدم المجتمعين فيه، ثم ارتد نحو السلم، فما كاد يصعد الدرجات الثلاث الأولى، حتى دوى انفجار عنيف. إنه انفجار القنبلة الأولى التي أطلقها الرئيس عبد الستار السبع من مدفع الـ 106 مليمترات.

أصابت القنبلة برج السلم في أعلاه، تماماً فوق الملك، وتطايرت الشظايا وانعقد الغبار، فأسرع الضباط والجنود والتفوا حوله؛ ولكنه لم يصب بأذى. وأراد الملك أن يتابع الصعود، فمنعه الضباط قائلين أن القصف قد يتكرر، ويجب أن ينزل الجميع من الطابق الأعلى إلى الطابق الأرضي على سبيل الاحتياط.

ورافق الضباط الملك إلى حجرة صغيرة في الجهة الخلفية من القصر، وهي الجهة التي ظلت هادئة منذ بداية الهجوم، بينما صعد آخرون منهم إلى الطابق الأعلى، فوجدوا الملكة نفيسة جالسة في غرفتها تقرأ القرآن، وإلى جانبها الأمير عبد الإله والأميرة عابدية يحاولان إقناعها بالنزول إلى الطابق الأرضي، وهي ترفض.

ودوى انفجار آخر أصاب الطابق الأعلى وامتلأ البناء بالغبار والدخان، فقبلت الملكة نفيسة عندئذ النزول، فاحتضنها عبد الإله ونزل بها الدرج، ووراءها الأميرة عابدية والأميرة هيام ومديرة شؤون القصر الآنسة فيغمان وهي سويسرية، والخادمة رازقية. وكانت الصغيرة «غازية»، وهي يتيمة عمرها 6 سنوات، تربيها الأميرة عابدية، تمسك ذيل ثوب الأميرة وترتجف خوفاً.



غرفة نوم الملك فيصل، وقد التهمت النيران التي أشعلتها القنابل كل ما فيها من الأثاث. لاحظ على الجدار آثار سرير الملك.

دخل الجميع الحجرة الخلفية التي احتمى فيها الملك، وجلسوا ينتظرون. وكان الأمير عبد الإله يتساءل باستمرار: لماذا لم يرجع ثابت؟ أين راح ثابت؟

وطبعاً، لم يكن الأمير يعلم أن الثوار قد قتلوه ولن يرجع.

وعند الساعة السابعة إلا 10 دقائق دق جرس الهاتف. إنه الضابط الكبير في لواء الحرس الملكي:

ـ سيدي... لقد اتخذنا مواقعنا كاملة، مستعدون للضرب. وإذا انتظرنا مدة أطول، أخشى أن يدخلوا عليكم!

فأجاب الأمير: لقد أبلغت البامرني ألا يجري أي قتال، فتصرف على هذا الأساس...

واشتد الرمي بالرصاص، وتساقطت عدة قنابل على جهات متعددة من القصر. ودق التلفون مرة أخرى عند الساعة. إنه آمر الحرس في الحديقة، يقول من جديد:

ـ نحن ما نزال في مواقعنا، والجنود أخذت بهم الحماسة، وأخشى أن يهجموا بأمر أو بدون أمر...

فقال الأمير: إياكم والهجوم... كل حركة منكم تعرضنا جميعاً للخطر.

فأجاب الضابط: إن الثوار يصيحون بنا من بعيد «نحن أخوان ولا لزوم للقتال»، وقد أخذوا الآن يقترون من مواقعنا، وأعتقد أنهم يريدون دخول القصر، فإذا لم نردهم الآن فسيدخلون...

فقال الأمير: لا قتال في أية حال!



بعض جنود السرية الثالثة من اللواء العشرين يرابطون أمام مدخل قصر الرحاب بعد الانقلاب. لاحظ آثار الضرب والقصف على أعمدة المدخل.

الفصل السابع

المجزرة



كان الملك فيصل يهوى التصوير. ونراه أعلاه يلتقط صوراً في حديقة قصر الرحاب، على بعد أمتار من المكان الذي قتل فيه.

في هذا الأثناء كانت الأسرة المالكة المجتمعة في الحجرة الخلفية تصغي إلى عبد السلام عارف يعلن من إذاعة بغداد مقتلهم جميعاً، ويستفز الناس للهجوم على القصر. ثم أخذ أزيز الرصاص يقترب، وشوهد جنود وضباط من غير الحرس الملكي يتقدمون في الحديقة نحو القصر.

ذلك أن ضباط معسكر الوشاش، بعد أن تم لهم الاتصال بقائد الحرس الملكي البامرني، عمد إلى إصدار الأمر إلى جنود الحرس بالتوقف عن المقاومة. وعندئذ تقدم المهاجمون من جهة طريق الشام ودخلوا الحديقة، كما تقدم ضباط معسكر الوشاش المنبثون حول القصر نحو مدخله الرئيسي، فوقف الرئيس عبد الستار السبع عنده يحمل رشيشاً، بينما دخله آخرون بسلاحهم، وسألوا الواقفين في البهو:

ـ أين هم؟

فأشاروا إلى الغرفة الخلفية فتقدم ثلاثة منهم واقتحموا بابها وصوبوا رشاشاتهم إلى من فيها، وصاح أحدهم:

ـ اطلعوا للخارج!

قال الملك: يا أخي، على ويش كل الرشاشات هذه؟ شايفنا

مسلحين؟ لو أردنا مقاتلتكم كنا قاتلناكم!

ولم يجب الضابط، ولكنه أزاح من الباب ووقف جانباً، ورشاشه مصوباً إليهم وقال:

ـ اطلعوا إلى الخارج!

وكانت الساعة قد بلغت السابعة والدقيقة العشرين تماماً، والرصاص ما يزال يتطاير في الحديقة على غير هدى.

❁ ❁ ❁

ها هو الموكب، موكب الموت يخرج من القصر، من باب خلفي؛ نحو الحديقة الخلفية، ويسير على محاذاة الجدار تجنباً للرصاص الطائش، الذي كان ما يزال يتساقط على الجدران.

كان الموكب يسير في خط طويل، وكل منهم ممسك بيد الآخر.

كان يتقدمهم ضابط طيار، من الثوار. ويسير وراءه تماماً الملك فيصل، ثم الأمير عبد الإله محتضناً والدته الملكة نفيسه، تجر نفسها جراً وقد وضعت مصحفها الكبير على صدرها، ثم الأميرة عابدية وقد تعلقت بأذيالها الطفلة غازية، ثم الأميرة هيام؛ ثم الخادم الأسود شاكر الذي جاء مع أسرة الملك علي من الحجاز، ثم الخادمة رازقيه، ثم سائق الملك. أما الآنسة فيغمان فقد ظلت معتزلة في إحدى الغرف. وكان يمشي قرب الملك كلبه «باتي» وهو مزيج من فصيلة «مونغريل» و«داخ هوند»، أهدي له سنة 1945 عند مروره في الإسكندرية.

كان الصمت سائداً على الموكب، ما عدا الطفلة غازية، التي كانت ترتجف وتصيح باستمرار: ستي... ستي... ستي...

وكانت الأميرة عابدية تصيح بها: اتركينا يا بنتي... روحي... روحي... ما حد واياكي (أي لا أحد يستهدفك)... روحي...



الامبرة عابدية أكبر بنات الملك علي (غير متزوجة) وجرى اغتيالها مع افراد آخرين من العائلة المالكة عام 1958



الأميرة بديعة البنت الثالثة للمك علي زوجة (الشريف حسين) الذي ينحدر من احدى الامارات المكية وأب لثلاثة أولاد، نجت واسرتها مع بعض أفراد العائلة المالكة من الاغتيال بشكل عجيب عام 1958



هيام عقيلة الأمير عبد الاله الوصي على عرش العراق (أول صورة لها في مطبوع عربية) التقطها «جان» في الاربعينات وكادت السيدة «هيام» أن تفقد حياتها صبيحة يوم 14 تموز 1958 لحظة اقتحام الجيش قصر الرحاب ببغداد. إلا أن ضابطاً عراقياً انقذ حياتها.



الأميرة جليلة أصغر بنات الملك علي الأربع. تزوجت من الدكتور (الشريف) حازم لم تنجب، وتوفيت في عام 1955.

ولكن الصغيرة أبت أن تذهب، وظلت لاحقة بالأميرة. وسار الجميع في أثر الضابط، فالتفوا حول القصر حتى أدركوا الجهة الأمامية منه، ولما وصلوا إلى شجرة جهنمية (بوغانفيلية) واقعة قرب حوض النافورة المبني أمام مدخل القصر، على بعد 20 متراً منه، أصابت رصاصة طائشة الطفلة «غازية» فوقعت وقتلت في الحال.

وتوقف الموكب، وانحنت الأميرة عابدية على الطفلة ترفعها، بينما رفعت الملكة نفيسة مصحفها عالياً فوق رأسها، وراحت تتطلع نحو السماء واجمة، فالتفت إليهم ضابط الطيران الذي كانوا يتبعونه وقال بعصبية:

ـ سيدي... بشرفي ما يصير عليكم شيء!

وفي تلك اللحظة بالذات، خرج من مدخل القصر ضابط يحمل رشيشاً (تومي غن). كان هذا الضابط واقفاً، مسنداً ظهره إلى أحد الأعمدة، يتطلع نحو الموكب المفجع الواقف على بعد عشرين متراً منه بنظرة جلمود، وهو يدغدغ رشيشه بأصابعه، ويتربص.

الرصاص الطائش ما يزال ينهمر، ولكن الرهبة سادت الموقف، لما رأى الحاضرون من الضباط والجنود، الموكب الملكي يسير على هذا الشكل. وتحولت الرهبة إلى خشوع حين رفعت الأميرة عابدية الطفلة القتيلة على يديها، والدماء تسيل منها، فأقبل الملك نحوها يسندها، بينما كانت الملكة نفيسة تردد: يا رب... يا رب...

كان ذاك الضابط الواقف عند المدخل يراقب المشهد على بعد عشرين متراً منه، بعينين نصف مغمضتين. وما لبث أن انتفض، وفتح سكر رشيشه، ثم صاحب بأحد رفاقه:

ـ تعال!



هنا، عند النقطة التي يشير إليها الجندي، أمام سلسلة من أشجار الجهنمية الحمراء (بوغانفيليه)، خر أعضاء الأسرة الهاشمية المالكة صرعى، على بعد 20 متراً من مدخل القصر.

ونزل الرئيس عبد الستار السبع درجات المدخل الأربع قفزاً، وتقدم بخطوات واسعة نحو الموكب، يسير وراءه رفيقه، حتى إذا ما صار على بعد سبعة أمتار منه، أشار بيده إلى الضابط الطيار، فاقترب منه فسأله:

ـ هم ذول كلهم؟

ولم ينتظر جواباً، بل أدار رشيشه في اتجاههم، وأخذ يطلقه «درزاً» يمنة ويسرى، فتساقطوا جميعاً، الواحد على الآخر في كتلة بشرية من اللحم والدم. وأصابت الطلقات الأولى القرآن الكريم الذي كانت تحمله الملكة نفيسة، فتناثرت أوراقه في الهواء كالأجنحة، وقد أصاب بعضها رشاش من الدماء...

وتصاعدت من وسط هذه المجزرة صيحات رعب وعويل، وخر الملك فيصل إلى الوراء على كتف ضحية أخرى وهو يردد: الله أكبر! الله أكبر!

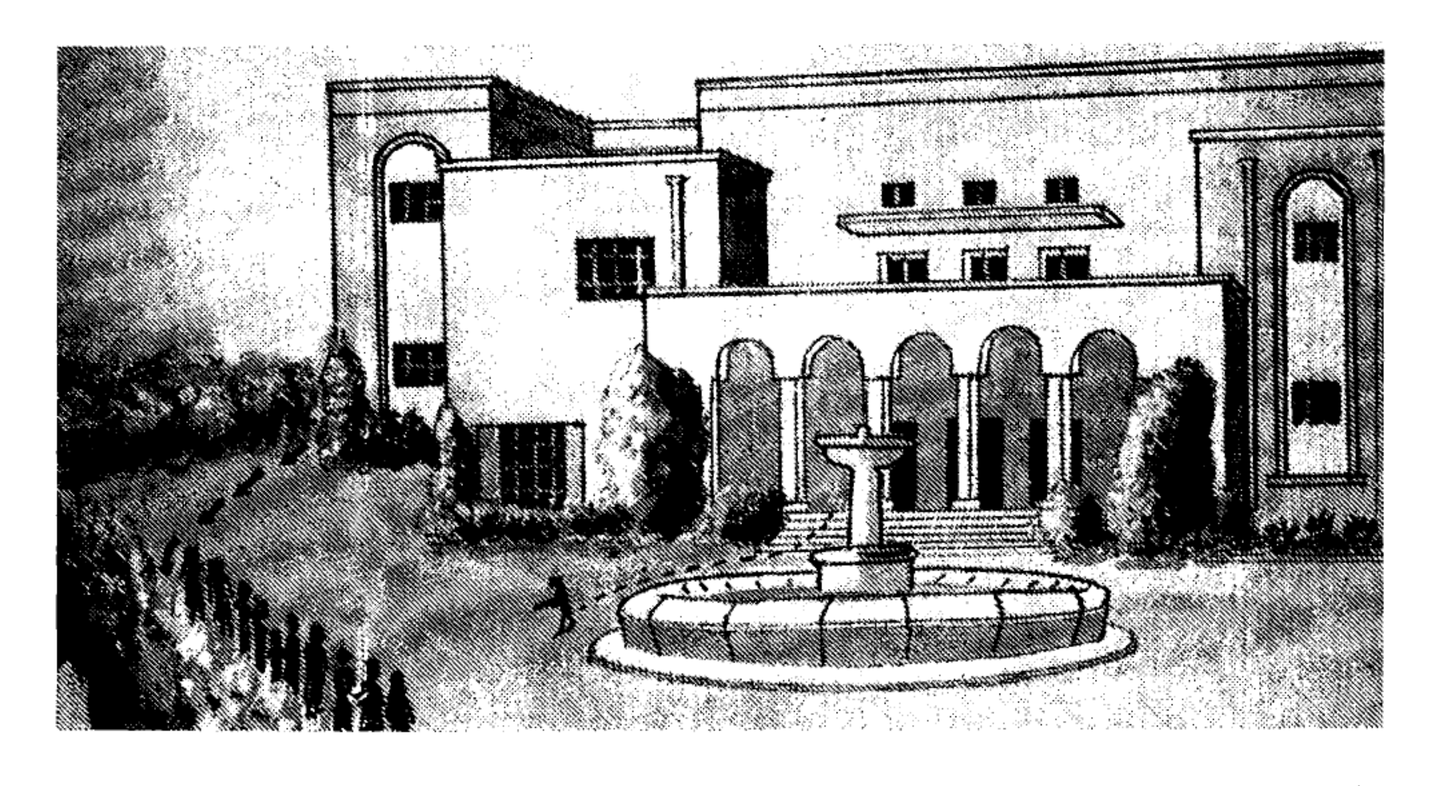
وانفجر صوت نسائي يقول: «خاين لر... خاين لر...». إنه صوت الملكة نفيسة، تردد بالتركية «يا خونة! يا خونة!».

وظل النداء مستمراً حتى تحول إلى أنين، ثم انطفأ مع نفسها الأخير...

ثم تقدم السبع ووقف فوق الجثث الممدودة أمامه، وأطلق رشاشه من جديد نحو الملك والأمير، فقال له رفيقه: لويش (لماذا؟)

فأجاب: حتى أتأكد!

ولم ينس السبع توجيه وابل من الرصاص نحو الكلب «باتي»، فقتله.



مخطط تقريبي للمجزرة، من وضع الفنان الشهير رأفت بحري. كان القاتل الرئيسي عبد الستار السبع واقفاً عند مدخل القصر تحت القناطر، فلما وصل موكب الأسرة إلى قرب الشجرة، على بعد 20 متراً من المدخل نزل السبع، واقترب منهم حتى وقف على بعد 7 أمتار، وأطلق رشاشه على الشكل الوارد وصفه في المقال.

وران صمت رهيب، لا يقاطعه إلا أنين خفيف يتصاعد من الجثث، وتفجرت الدماء من كل جهة وارتد عبد الستار السبع مع رفيقه، ثم أشار إلى رفاقه الآخرين، فتبعه عدد منهم وخرجوا من القصر وذهبوا.

ويقال إن السبع ورفاقه توجهوا على الأثر إلى محطة الإذاعة. ويروي شاهد عيان كان هناك أنه رأى السبع يدخل على عبد السلام عارف مسرعاً ويحتضنه ويقول له: قتلتهم... قتلتهم كلهم!.

❀ ❀ ❀

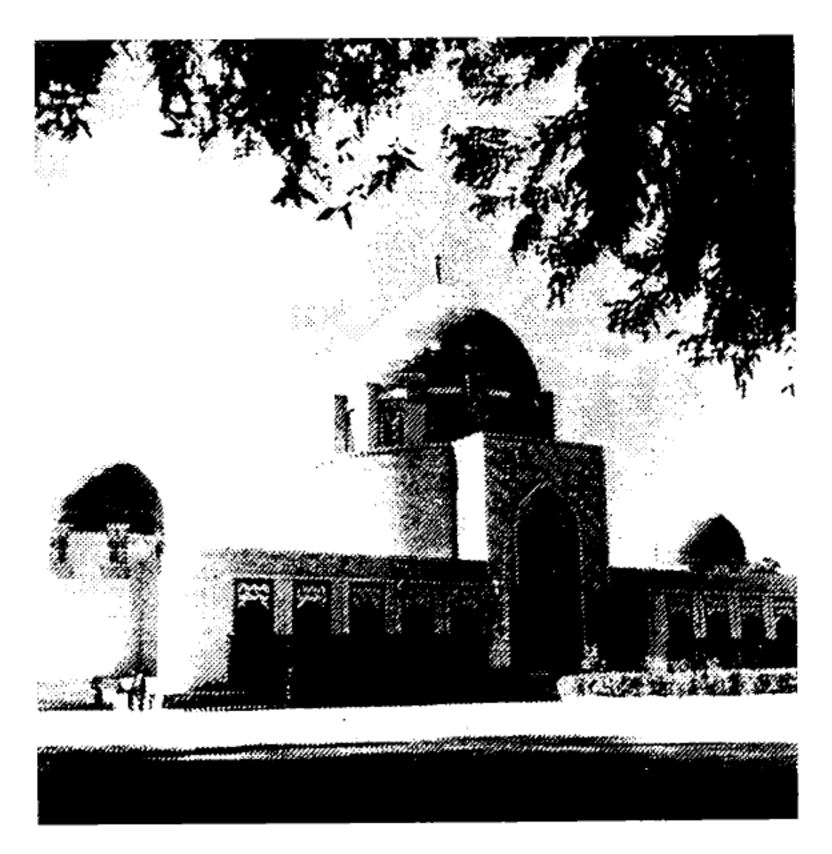
وأقبل بعض الضباط والجنود الباقون في الحديقة نحو الجثث وسمعوا بينها أنيناً، فإذا بالخادمة السوداء مصابة بجراح فقط، كما أن الأميرة هيام مصابة بجرح طفيف، فقالت لهم: اتركوني وشأني... أنا لست منهم... أنا سعاد نافع... كنت في زيارة...

وسعاد نافع هي ابنة خالة الأميرة هيام، وقد خطر لها هذا الاسم في تلك اللحظة الرهيبة، فادعته خشية أن يجهز عليها الثوار.

وقد نقلت هيام على الأثر إلى مستشفى السعدون، حيث أسعفت. وجاءت والدتها ليلاً وأخذتها في سيارة عمومية.

ثم جاءت سيارة شحن عسكرية، ونقلت جثث القتلى بها إلى خارج القصر، حيث جرى تسليم جثة الأمير عبد الإله، بناء على أوامر عبد السلام عارف، إلى الجماهير، وجرى سحلها والتمثيل بها بهمجية نموذجية.

ولا يعرف بالضبط ماذا فعلوا بجثث الآخرين، والرواية متناقضة عن التمثيل بجثث النساء. أما الملك فيصل فقد نقلت جثته أولاً إلى مكان مجهول، ثم دفنت فيما بعد ـ كما تقول مصادر وثيقة ـ في المدافن



مقبرة الأسرة الهاشمية المالكة في «الأعظمية» في ضاحية بغداد. وقد شاع أن جثمان فيصل الثاني دفن فيها خفية.

الملكية في بغداد، بناء على أمر من الزعيم عبد الكريم قاسم.

وعلى كل، فإن حكومة الثورة كتمت مصرع الملك، خشية حدوث رد فعل في العراق ضدها، وخوف أن يتخذه الملك حسين مبرراً للتدخل، بوصفه نائب الملك ووريث العرش حسب الدستور الاتحادي.

وقد أفتى بعض ضباط الثورة أن إعلان مقتل الملك في ذلك اليوم، سيؤدي إلى انتقال صلاحيات العرش إلى الملك حسين، ويصبح ذا سلطة دستورية على كثير من وحدات الجيش العراقي التي لم تكن قد أعلنت ولاءها بعد للثورة. وقد يستجيب بعض القادة العراقيين إلى أوامر

تصدر عن الملك حسين للتمرد على الانقلاب، وهو ما يزال طري العود.

من أجل ذلك اتفق قادة الثورة على كتمان مصرع الملك، إلى أن يستتب لهم أمر الجيش، وتتم لهم السيطرة على جميع وحداته، كما جرى فعلاً في اليومين التاليين. وفي هذه الأثناء كان الجو الدولي قد هدأ نسبياً، وجهزت قوى عربية وأجنبية بتأييد الثورة، فأصبح لها أنصار تستطيع أن تجابه بهم المحاذير الخارجية.

وقد نجحت هذه الخطة نجاحاً تماماً. ففي الداخل عرف قادة الوحدات من أنصار العهد الماضي بمصرع الملك والأمير ونوري منذ اليوم الثاني، فاستسلموا للحركة. ولما كان مقتل الملك قد بقي مجهولاً في العالم ولم يحدث خارج العراق في الأيام الثلاثة الأولى ما يجعل أولئك القادة يتريثون في مسايرة الثورة، فقد استطاعت الحكومة الانقلابية، على ضعفها عسكرياً في الأيام الأولى، السيطرة على الموقف الداخلي.



هناك ضحية أخرى ذهبت مع الأسرة الهاشمية يوم 14 تموز، وهي تمثال الملك فيصل الأول، القائم عند مدخل الجسر الذي يحمل اسمه، في «الصالحية» في بغداد. وقد قلبه المتظاهرون وألقوه في النهر، وبقيت قاعدته كما ترى أعلاه، يحيط بها الجنود.

ولما تسلم الملك حسين في 18 تموز رئاسة الدولة الاتحادية خلفاً للملك فيصل، كانت الأوضاع الدولية قد تبدلت، وكان الأميركيون الذين نزلوا في لبنان، والإنكليز الذين نزلوا في الأردن، قد قرروا قبول الانقلاب والاعتراف به، ومنع كل حركة من جانب الأردن ضده. وهكذا عاد الملك حسين فعلق الدستور الاتحادي.

❀ ❀ ❀

وظل العالم في حيرة في الأمر في مصير الملك فيصل إلى أن أعلن شاه إيران الحداد رسمياً في البلاط الإيراني على فيصل، وذلك يوم 17 تموز، بناء على معلومات تلقتها حكومة طهران من السفارة الإيرانية في بغداد، فكان هذا التدبير الخبر اليقين الأول عن مصرع الملك الشاب.

وأسدل الستار على هذه المأساة.... المجزرة.

❀ ❀ ❀

الفصل الثامن

فرَار نوري السّعيد

كان رئس الوزارة العراقية، السيد نوري السعيد، يسكن داراً في حي «كرادة مريم» في الكرخ، أي على الضفة اليمنى من نهر دجة. ولها حديقة واسعة تمتد حتى تلامس مياه النهر.

وكان يحد الدار من الشمال والجنوب أراض خالية من العمران، إلا من أشجار النخيل الباسقة. ويحدها من الغرب الشارع العام، ومن الشرق نهر دجلة.

وكانت تحرس الدار أثناء الليل مفرزة كبيرة من الشرطة. ولكن عند الفجر كان يجري استبدالها بثلة صغيرة منهم.



قلنا سابقاً إن نوري السعيد عاد إلى بغداد، من رحلة إلى لندن واستنبول، لكي يرافق الملك. وهكذا نرى نوري السعيد عشية 13 تموز، يستعد هو الآخر للسفر في الصباح التالي.

ومساء ذلك اليوم، سهر عند «الباشا» ثلاثة من أصدقائه، السادة أحمد المناصفي، خليل كنه وخليل إبراهيم. وكان الأخير أول من خرج، وما لبث أن تبعه الآخران، وآوى نوري إلى فراشه في الساعة العاشرة ليلاً.



دارة نوري السعيد التي هاجمها الجند. لاحظ آثار الضرب على الواجهة فوق الباب الرئيسي الذي نسفوه بالقنابل اليدوية.

وأوصى نوري الخدم بإيقاظه في الساعة الخامسة من صباح اليوم التالي. وكان من عادته أن يأكل الخبز حاراً مع الفطور. وكانت تأتي في الساعة الثالثة من كل صباح قروية تقيم على مقربة من بيته، كيما تخبز له حاجته منه.



تركنا العقيد عبد السلام عارف عند فجر 14 تموز مرابطاً في موقع «كاسل بوست» على بعد ثلاثين كيلومتراً من بغداد، وقد عهد إلى الرئيس الأول بهجت سعيد باحتلال بيت نوري وتصفيته.

واستدعي العقيد وصفي طاهر (كان يومذاك مقدماً) من بغداد، في تلك الليلة، إلى «كاسل بوست» لكي يرافق هذه السرية. وقد كان وصفي طاهر مرافق رؤساء الوزراء العراقيين منذ عشر سنوات، وبالتالي كان يرافق نوري السعيد منذ سنة 1954، وظل بعد الانقلاب مرافقاً لعبد الكريم قاسم.

وكان بحكم منصبه، ذا اطلاع كامل على موقع دار نوري ومداخلها، لذلك كان الضباط المتآمرون متفقين على تكليفه بإرشاد القوة إلى دار نوري، ولا سيما وأنهم كانوا يظنون أن نوري قد أعد في بيته سراديب وأقبية وممرات خفية للاختباء فيها، أو للفرار بواسطتها.

وكان وصفي ربيب السادة آل العسكري، أنسباء نوري السعيد. وهم الذين زكوه لدى نوري حتى اختاره مرافقاً لرئاسة الوزراء. واتضح بعد الانقلاب أن وصفي ذو ميول شيوعية، لذلك سهل على المتآمرين اكتسابه واعتماده.



في جميع المناسبات الرسمية، كان العقيد وصفي طاهر، يظهر واقفاً وراء نوري السعيد، بوصفه مرافق رئيس الوزارة، كما ترى في الصورة أعلاه المأخوذة سنة 1957.

وبينما كانت السرية الأولى تغادر «كاسل بوست» في الساعة الرابعة ونيف من صباح 14 تموز، في اتجاه قصر الرحاب، كانت السرية الثانية تتبعها في اتجاه دار نوري، يتقدمها الرئيس بهجة سعيد والعقيد وصفي طاهر.

وصلت القوة حول الساعة الخامسة، فتوقفت سياراتها بعيداً، وتقدم الجنود نحو بيت نوري سيراً على الأقدام بحذر، بين أشجار النخيل ورابطوا في منخفض تحت الطريق المارة تجاه البيت، بحيث يرون كل من يخرج من الباب، أو من جانبي البيت. ولكن جهة النهر بقيت محجوبة عن أنظارهم.

وجاء هنا دور العقيد وصفي طاهر في العمل، فتقدم من حراس الباب الخارجي، فعرفوه، وطلب إليهم السماح له بالدخول لكي يكلم الخبازة البدوية فتركوه يدخل من الباب إلى الحديقة. وهناك بمعزل عن عيون رفاقه المنتظرين خارجاً، استدعى البدوية وأسر إليها شيئاً، فدخلت هي إلى الدار. وبقي هو في الحديقة.

ومرت دقائق، وما لبث أن خرج وصفي طاهر من الباب إلى الشارع وهو يصيح ويشتم، وأشار بيده إلى الجنود بالهجوم على البيت، فأخذوا يطلقون النار عليه. ثم اقتحموا الباب الخارجي إلى الحديقة، وسار هو في طليعتهم نحو باب البيت، وهو باب كبير من الخشب وأمر بإلقاء القنابل عليه، فتحطم، ودخل هو والجنود إلى الدار متجهين رأساً إلى غرفة نوري السعيد، فوجدوها فارغة!

وفتشوا البيت وقلبوا كل ما فيه واستجوبوا الخدم فلم يجدوا لنوري السعيد أثراً. لقد اختفى!

وأصيب المهاجمون، ولا سيما صغار الضباط، بخيبة أمل شديد، وأخذوا يتساءلون كيف استطاع نوري السعيد أن يهرب في تلك الدقائق القليلة. وعندئذ اتجهت شكوكهم إلى العقيد وصفي طاهر، واتهموه أنه هو الذي أنذر نوري بالفرار، فلما اطمأن على فراره رجع يدعو الجنود للهجوم...

وأنكر العقيد طاهر التهمة، وأراد بعض ضباط السرية قتله، ولكن الرئيس بهجت سعيد تدخل في آخر لحظة وحمى طاهر من نقمة رفاقه، قائلاً إن الوقت حرج لا يسمح بمثل هذا الشقاق، وأن التسرع قد يؤذي مصلحة الثورة.

وهنا نتساءل: أصحيح أن وصفي هو الذي أنذر نوري بالفرار؟

الثابت حتماً أن الخبازة هي التي أنذرت نوري بوصول القوة، وإنه فر في الحال. والثابت أن الخبازة قابلت وصفي طاهر فور وصول القوة. ومن هنا استنتج بعضهم أنه هو الذي أنذر نوري بالفرار، على سبيل الاحتياط لنفسه. فإذا ما فشلت الثورة، كان عمله ضمانة لسلامته. وإذا ما نجحت، فنوري سيموت عاجلاً أو آجلاً، ويذهب السر معه..

الفصل التاسع

مُطاردة نوري السعيد

كان نوري ما يزال نائماً، لما دخلت عليه الخبازة وأيقظته وأنذرته، فأسرع إلى درج مكتبه واستخرج منه مسدسين، واندفع يعدو، وهو حافي القدمين بالبيجاما، نحو الحديقة، في اتجاه النهر، وهو يحمل حذاءه بيده!

وكان أول من رأى نوري على الضفة قاض متقاعد يقطن في الضفة الأخرى. ولكنه اعتاد أن يأتي في ساعة مبكرة من كل صباح إلى هذه الضفة لكي يستحم في النهر، إذ أن مياه النهر تضعف في الصيف عند ضفة الرصافة، وتظل قوية عند ضفة الكرخ، وحيا الرجل نوري من بعيد، فأشار إليه نوري بالسكوت.

ورأى نوري في وسط النهار صيادين اثنين في قارب نهري (بلم)، فدعاهما، وطلب إليهما نقله إلى الضفة الأخرى في اتجاه بيت وزير الداخلية يومئذ، سعيد القزاز. ثم تمدد نوري في القارب، ونشر أحدهما عليه غطاء. وفيما كان الجنود يتطلعون من شرفات بيته باحثين عنه، كان القارب يحمله عبر النهر!

وراح الصيادان يجذفان حتى اقتربا من الضفة الأخرى فسمع نوري لغطا، ومد رأسه من تحت الغطاء، فرأى جماعات من الناس قد احتشدت على الضفة، على طول شارع أبي نواس المطل على النهر،

وقد أيقظهم دوي القنابل والرصاص في بيت نوري، فتجمهروا يتطلعون نحن الضفة الأخرى.

وعاد نوري تحت الغطاء، وطلب إلى الصيادين أن يرتدوا نحو الضفة التي جاؤوا منها، ولكن في اتجاه شمالي. فصدعا وعادا به إليها، على بعد نصف كيلومتر من بيته.

ونزل نوري هناك واختفى. وكانت الساعة قد قاربت السادسة والنصف. وليعذرنا القارىء إذا كتمنا أسماء البيوت التي مر عليها نوري، خشية أن يتعرض أصحابها لمزعجات.

وتدبر نوري نفسه هناك، وظل حتى الساعة الثامنة والربع تماماً. ثم تنكر بلباس امرأة، وركب سيارة لكي تقله إلى بيت يقصده في ضاحية الكاظمية، التي تبعد خمسة كيلومترات عن بغداد. وقد اجتاز نوري في طريقه شارع المنصور في قلب بغداد، وكان مكتظاً بالمتظاهرين الهائجين، كما اخترق مظاهرات قرب دار السفارة الإيرانية ومحطة الإذاعة، ومع ذلك لم يكتشفه أحد، ووصل بسلام إلى الدار التي يقصد!

وظن نوري أنه أصبح هنا في مكان آمين، وبدا عليه الاطمئنان. وكان يتوهم حتى تلك الساعة، أن الحركة لا تعدو فورة من الطراز الذي سبق إذ مر عليه أكثر من مرة، ولا بد من أن تعود الأمور إلى نصابها قريباً.

وحاول نوري الاتصال بالفريق رفيق عارف، ثم بخليل كنه، ثم بخليل إبراهيم، فلم يجد أحداً. وهنا استمع نوري إلى الإذاعة، وسمع بنبأ مقتل الأسرة المالكة فاضطرب لما علم أن الملك في جملة القتلى، وتكلم بمرارة عن هذه المجزرة، وقال: «جابوهم لكي يقتلوهم، كما جابوا جدهم الحسين وقتلوه!».



صورة أخرى لحديقة نوري السعيد، ويشير السهم فيها إلى النقطة التي نزل منها نوري نحو ضفة نهر دجلة.



الجماهير في حديقة دارة نوري السعيد إثر الانقلاب. ويبدو وراء الحديقة نهر دجلة الذي فرّ نوري من جهته.



كان نوري السعيد يلبس في المناسبات العسكرية بزته الرسمية، بوصفه فريقاً في الجيش.

ثم قال: كنت أتمنى لو يقتل ولدي الوحيد ولا يقتل فيصل، وأخشى أن يفتح مقتل فيصل حساباً في هذا البلد يمتد قروناً!

وكان ابنه صباح ما يزال على قيد الحياة، ولكن الثوار ما لبثوا أن قتلوه فيما بعد.

ولما سمع أسماء الضباط تذاع من محطة بغداد، قال: «يظهر احنا ربينا أفاعي وعقارب... ذوله راح يخربون البلد ويهدمون نعمته، وما تقوم له قايمه...».

وكان نوري يغمض عينيه طويلاً، ثم ينتفض، ويأخذ في التحدث بصوت عال جداً، فيترحم على فيصل، وعلى جده فيصل الأول. ولما **علم أن المتظاهرين قلبوا تمثال فيصل الأول وألقوه في النهر، قال: «هذي مو ثورة عراقية... لولا فيصل كان العراق تمزق وتفرق... العراق ما يحكمو ولاد ومجانين... كلهم راح يموتون ويموتوا البلد معهم...».**

وظل نوري السعيد حتى نهايته يتوقع أن يدخل الجيش الأردني العراق، وكان يقلب محطات الإذاعة للاستماع إلى التعليقات الخارجية، ويردد: «ما أفتهم! ما أفتهم!».

وحول الظهر قرر نوري السعيد السفر إلى «المسيب» حيث يرابط اللواء الأول، فخرج يقصده بالسيارة، ولكن الفوضى كانت شديدة في المدينة. وكانت الدوريات العسكرية قد أخذت تفتش السيارات فعاد نوري إلى البيت الذي خرج منه.



وفي هذه الأثناء كانت قيادة الثوار قد وضعت يدها على الخيط الأول في فرار نوري. فالصيادان اللذان نقلاه رويا الخبر أمام شخص،

فذهب هذا ونقل النبأ إلى حامد قاسم، أخ الزعيم عبد الكريم قاسم فنقله هذا بدوره إلى وزارة الدفاع. وفي الحال أرسل الثوار دوريات إلى النقطة التي أنزل الصيادان نوري فيها، وبدأت حملة تفتيش واسعة النطاق.

وبفضل الاهتداء إلى الخيط الأول، أدرك الثوار أن نوري ما يزال مختبئاً في بغداد، ولم يتجه إلى مكان ما في خارجها، وعندئذ وضعوا عشرة آلاف دينار مكافأة لمن يرشد إليه. والمعتقد أن الغاية الأولى من فرض منع التجول عند الظهر في بغداد، كانت سد المنافذ على نوري. فمذ شاع أن نوري اختفى، وجم جميع الضباط، وخشوا أن يتمكن بدهائه من قلب الموقف ولا سيما وأن أكثر قواد الجيش في الأقاليم كانوا حتى تلك اللحظة يلتزمون السكوت ولا يناصرون الثورة. فأدرك الضباط أن نجاح حركتهم متوقف على وضع اليد على نوري، وعبأوا كل ما لديهم من قوى في حملات تفتيشية شملت المدينة بأسرها.



قلنا إن نوري رجع إلى مكانه عند الظهر، بعد فشله في الوصول إلى «المسيب»، وحال منع التجول دون خروجه مجدداً، فبقي في ذلك المكان ونام ثلاث مرات، ولكن نوماً مضطرباً.

وعند منتصف الليل، بدأت تقترب الدوريات من ذلك المكان، فغادره نوري عند الساعة الثالثة صباحاً. وقد كشفت محاكمات بغداد بعد الثورة، أن نوري انتقل متخفياً بلباس امرأة، إلى بيت الحاج محمود الاستربادي، في الكاظمية أيضاً.

بقي نوري في هذا البيت حتى الصباح. وكان التظاهر قد أخذ يمتد إلى أحياء الكاظمية، ووصل التفتيش إليها، فلما علم بذلك قرر مغادرة الكاظمية والرجوع إلى بغداد، قاصداً منزل الشيخ محمد العريبي في حي

«البيتاويين». والعريبي هو شيخ مشائخ لواء العمارة، ومن أصدقاء نوري القدماء.

والذين يعرفون نوري، يستغربون كيف اختار الرجوع من الكاظمية إلى بغداد، في حين كان يستطيع الفرار بسهولة من الكاظمية نحو المزارع الكثيرة المنتشرة في شمالها وغربها، وحيث كان في استطاعته تدبر هروبه بسهولة للخروج من العراق، وهو المتمرس بهذه الأمور والخبير بطرق المنطقة وأحوالها، وله فيها أصدقاء كثيرون قادرون على حمايته ونقله إلى حيث يشاء.

ولا شك أن الشيخوخة كانت قد فعلت فعلها فيه، وإن مقتل الأسرة الهاشمية قد أثر كثيراً في أعصابه وفي تفكيره. وهكذا بدلاً من أن يتدبر الفرار من الكاظمية إلى الخارج، ارتبك وعاد نحو العاصمة، لكي يقع في الفخ!

وهناك اجتهاد آخر يقول إن نوري كان يتوقع تدخل قوات من الخارج في أية لحظة، وهذا الاعتقاد هو الذي جعله يصر على البقاء في بغداد، بدلاً من أن يفر من الكاظمية إلى المنطقة الغربية، حيث كان في استطاعته أن يختفي بكل سهولة، وأن يهرب إلى الأردن أو تركيا.



بهو دارة نوري السعيد، وقد قلب مهاجموه الأثاث والرياش.

الفصل العاشر

وإذا جاء أجلهم...

قلنا إن نوري السعيد غادر بيت الاسترباذي، تصحبه سيدة البيت وهو ما يزال متنكراً بالعباية النسائية، قاصداً بيت العريبي في حي «البتاويين»، فتوقف على مقربة منه في بيت نسيب للاسترباذي، وبعث من يستفسر إذا كان العريبي موجوداً في بيته.

وكانت الساعة قد قاربت الثانية بعد الظهر.

ولما دخل نوري هذا البيت، كان أول ما فعله أن أحصى عدد الموجودين فيه على سبيل الاحتياط، خشية أن يخرج أحدهم ويفشي سره. وكان معروفاً عن نوري أنه شديد الحذر، وتضاعف حذره في ذلك اليوم أضعافاً. وكان بين الحضور أربعة من أبناء صاحب البيت. وهم ثلاثة شباب وفتاة. وكان عمر الفتاة يتجاوز الثلاثين وعمر أخيها الأكبر «عمر» يناهز الثلاثين عاماً.

وما لبث الرسول الذي ذهب يستفسر عن العريبي أن عاد وقال إنه لم يجد في البيت أحداً. وكان نوري مستلقياً في ساحة الدار على أحد كراسي الراحة، فنهض في تلك اللحظة وتطلع حوله، فافتقد عمر وأخته فلم يجدهما، فسأل عنهما، فقيل له أنهما خرجا. وعندئذ هبّ نوري واقفاً وبدا عليه الاضطراب وقال:

ـ ذوله راحوا مؤكد يخبرون عني.. لازم أخرج حالاً!



الحاج محمود الاستربادي، الذي لجأ نوري السعيد إلى بيته، عند اعتقاله إثر الانقلاب. وقد قتلت زوجته مع نوري. ويبدو على السرير الشيخ محمد العريبي، شيخ مشايخ لواء العمارة. وكان نوري قد ذهب إلى حي «البتاويين» ينشد الوصول إلى بيت العريبي.

فقالت السيدة الاستربادية: ولكن لا توجد سيارة، فيجب أن ننتظر حتى ندبر سيارة. . .

فأجاب: كلا، لازم أخرج حالاً. . الوضع خطر. .

فقالت: إذن لن أتركك تخرج وحدك، ولكن وين نروح؟

فأجاب: نمشي في الجادة. . أنا واثق أنهم راحوا يخبرون عني. .

وخرج نوري والسيدة من البيت على عجل.

❁ ❁ ❁

لم يكن نوري مخطئاً في حدسه، فالشاب كان قد سمع بمكافأة العشرة آلاف دينار، فقرر أن يشي بنوري ليحصل عليها. . .

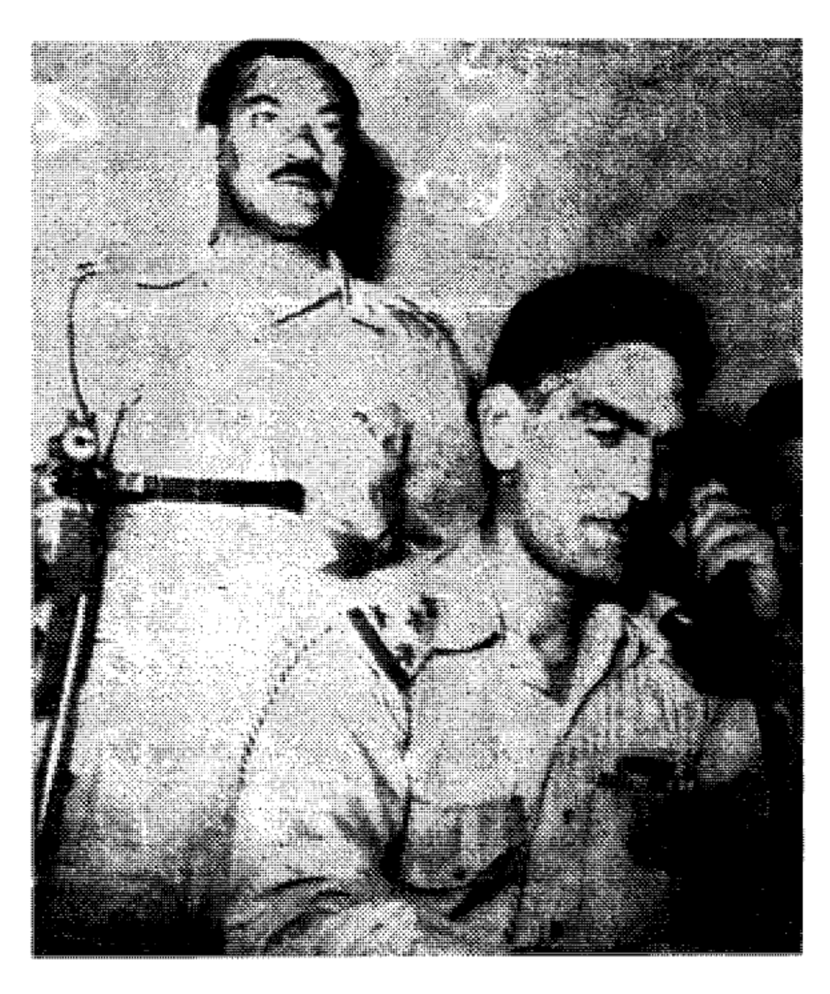
وخرج الشاب مع أخته إلى دكان مجاور بيته، فيه جهاز هاتف، وطلب وزارة الدفاع وأبلغها أن نوري موجود في بيتهم.

وسمع صاحب الدكان ومن فيها كلام الشاب، فانتشر النبأ انتشار النار في الهشيم بين الناس في المحلة، وسارعوا يعدون بالعشرات نحو ذلك البيت.

وكان نوري قد غادر البيت قبل نصف دقيقة مع السيدة وهو متنكر بالعباية، فجابههما عدد كبير من الفتيان يقترب منهما وهم يصيحون: نوري في بيت فلان. . نوري في بيت فلان. .

وتأمل الفتيان في المرأتين وهما آتيتان من جهة ذلك البيت، وحانت من أحدهم نظرة إلى نوري، فلاحظ أن بيجامته ظاهرة من تحت العباية، والنساء في العراق لا يلبسن بيجاما تحت العباية، فصاح: هذا نوري! هذا نوري!

واندفع الفتيان نحوه فأدرك نوري عندئذ أن أمره قد انكشف ولا سبيل إلى الفرار، فأخرج مسدسه من جيبه، وكان ما يزال يحمل



في اليوم الثاني للانقلاب، أصبح العقيد وصفي طاهر المرافق الشخصي للزعيم الركن عبد الكريم قاسم، وكان يظهر وراءه في كل مكان مسدداً رشاشه، كما ترى أعلاه.

مسدسين، وأطلق النار على صدغه فخر قتيلاً للحال، وذلك أمام مدرسة «البتاويين» الابتدائية للبنين. وكانت الساعة قد تجاوزت الثالثة والنصف بعد الظهر.

وصادف أن مر في تلك اللحظة جندي طيار من هناك وسمع الأولاد يرددون اسم نوري، فاخترق حلقتهم ورأى نوري طريحاً في الأرض، والسيدة الاسترابادية واقفة إلى جانبه، فأطلق النار عليها فقتلها.

❁ ❁ ❁

قلنا إن الفتى أبلغ وزارة الدفاع أن نوري موجود في بيتهم، فنقلوا النبأ إلى الزعيم عبد الكريم قاسم، الذي كان قد جاء إلى بغداد واستلم رئاسة الوزارة، وتمركز في وزارة الدفاع. وبدلاً من تكليف أمر القطاع في ذلك الحي باعتقال نوري فوراً، خرج وصفي طاهر بنفسه للقيام بالمهمة.

وفي هذه الأثناء كان قد افتضح أمر نوري وقتل، فوصل وصفي طاهر ومرافقوه إلى المكان بعد مرور خمس دقائق على الحادث، وشق طريقه بين الناس إلى جثة نوري، حيث ألقى نظرة على الرجل الذي رافقه ست سنوات، ثم أصلى الجثة وابلاً من رصاص رشاشته، وهو يشتم بصوت عال!

وقد اتخذ الكثيرون تكليف وصفي بمهمة اعتقال نوري، دليلاً يعزز الرواية بأن وصفي هو الذي أنذر نوري بالفرار صباح الاثنين. وقيل إنه جاء بنفسه لكي يعتقله ـ أو يقتله ـ للحؤول دون وقوع نوري حياً في أيدي ضباط آخرين، قد يستجوبونه ويطلعون على المصدر الذي أنذره بالفرار.

ونقلت جثة السياسي الكبير نوري السعيد على سيارة شحن عسكرية إلى وزارة الدفاع، حيث شاهدها الزعيم عبد الكريم قاسم وبقية ضباط الثورة. ثم نقلت إلى دائرة الطب العدلي، وبعد الكشف الرسمي عليها، نقلت إلى معسكر أبي غريب حيث دفنت ليلاً هناك.

هنا، أمام جدار مدرسة «البتاويين» الابتدائية للبنين، خرّ نوري السعيد صريعاً.



الأمير فيصل الثاني يجلس فوق كلبه



فيصل الثاني في طفولته

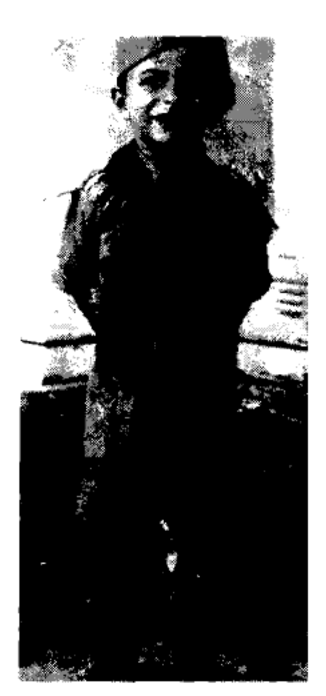


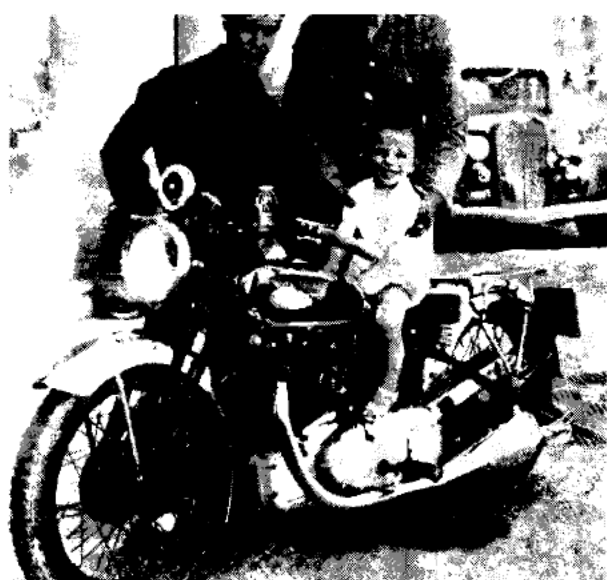






الملك فيصل
الثاني بثياب
الكشافة يؤدي
التحية





جلالته جالساً فوق الموتوسيكل



لابساً الثيابَ العربية

جلالته يحمله خاله







عندما كان في الثالثة من عمره



مع خاله الأمير عبد الاله



الملك فيصل
الثاني في
بلاج
الاسكندرية
عام ١٩٤٤





أمام الكاميرا

الملك فيصل الثاني في أول احتفال رسمي له، تدشين نادي (سفينة نوح) عام 1943 يجلس على يمينه، الأمير عبد الإله الوصيّ على العرش، ويُشاهد على يساره، اللفتنانت جنرال (الفريق) السر هنري باونل القائد العام للقوات الايرانية ـ العراقية آنذاك.



الملك فيصل الثاني يمتطي
صهوة أول مهر له

الملك فيصل الثاني بلباسه الصيفي

الملك فيصل الثاني
بلباسه العربي



الأمير عبد الاله ولي العهد والملك فيصل الثاني في حديقة بيته.





أثناء دراسته الأولية

استقبال الملك فيصل الثاني في محطة فيكتوريا عائداً من فرنسا بعد قضاء العطلة الصيفية لكلية (هارو) في (نيس) بجنوب فرنسا:
من اليمين: المستر دانبار رئيس دائرة البروتوكول بوزارة الخارجية البريطانية، الأمير عبد الإله، الملك فيصل الثاني، أمين المميز، شاكر الوادي، نوري السعيد، المرافق عبيد الله المضايفي، طبيب العائلة المالكة سندرسن.

الملك فيصل الثاني مع زملائه
في كلية «هارو» بانكلترا



الملك فيصل الثاني يطالع دروسه
في انكلترا



الملك فيصل الثاني

الملك فيصل الثاني يرتدي البزة العسكرية
الملكية بعد تسلمه سلطاته الدستورية
عام 1953



الملك فيصل الثاني قبيل مصرعه



الملك فيصل الثاني يستعرض الجيش العراقي في 6 كانون الثاني عام 1958.



فيصل الثاني مع خاله عبد الإله يفتح خط الأنابيب الجديد في كركوك.



الملك فيصل الثاني في مكتبه الرسمي



الملك فيصل الثاني ويتيمات الهلال الأحمر يُحطن به.

الفهرس